HOLY QURAN
Vol.2024, **pp.** 21– 46
DOI: https://doi.org/10.70470/HOLYQURAN/2024/004 ; ISSN: 3078-3968

The Concept of Worship between Ahl al-Sunnah and Opposing Sects

مفهوم العبادة بين اهل السنة والمخالفين

Diauddin Hussein Khalil Al-Hameerawi[1,*]

[1] *College of Da'wah and Fundamentals of Religion / Islamic University in Madinah / Ministry of Education / Kingdom of Saudi Arabia*

ضياء الدين حسين خليل الحميراوي [١،*]

[١] كلية الدعوة وأصول الدين /الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة/ وزارة التعليم/ المملكة العربية السعودية

ABSTRACT

This study explores the concept of worship as understood by Ahl al-Sunnah (Sunni Muslims) in contrast to other sects, focusing on the fundamental aspects of worship in Islam, including its types, conditions, pillars, and invalidators. The research highlights the importance of correctly understanding worship, offering critical insights into the origin of worship and common misconceptions, as well as defining core terms per renowned scholars like Ibn Taymiyyah and Ibn al-Qayyim. The study seeks to provide a comprehensive understanding of worship's concept, while enlightening readers on errors and correct interpretations surrounding the issue.

الخلاصة

يستعرض هذا البحث مفهوم العبادة كما تفهمه أهل السنة في مقابل الفرق الأخرى، حيث يسلط الضوء على أصل العبادة ومعناها في الدين الإسلامي وأهمية فهمها بشكل صحيح. يُبرز البحث الجوانب الأساسية المتعلقة بالعبادة، مثل أنواعها، وشروطها، وأركانها، ومبطلاتها، فضلاً عن تأصيل الخلاف بين أهل السنة والمخالفين في هذا المجال. كما يتناول البحث دراسات سابقة وتعريفات لأبرز العلماء مثل ابن تيمية وابن القيم، ويقدم مراجعات نقدية للشبهات المتعلقة بالعبادة في الإسلام، بهدف الوصول إلى فهم دقيق ومعمق للموضوع وتبصير القارئ بالخطأ والصواب في مفهوم العبادة.

Keywords

الكلمات المفتاحية

Worship, Ahl al-Sunnah, Monotheistic worship, Concept of worship, Misconceptions

العبادة, أهل السنة, توحيد العبادة, مفهوم العبادة, الشبهات

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
2/1/2024	16/2/2024	15/3/2024

١. مقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا والحمد لله الذي تعبد العباد بشرائعه، فانقذهم من الظلمات الى النور وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. والصلاة والسلام على عبده ورسوله الداعي إلى طاعة ربه، المحذر عن الغلو والبدع والمعاصي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين.

فأن من أخطر الظواهر في الحياة ان تناط بالمرء وظيفة مهمة وهو لا يعرف حقيقتها او يسيء فهمها او لا يقوم بها على الوجه المطلوب ولا يصل اليه مردود عمله رغم تعبه ونصبه. ووظيفة الانسان في هذه الحياة هي ما امتن الله بها عليه وهي عبادته جل وعلا تكريما له وتشريفا قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا)) ثم بين الله جل وعلا الغاية من خلقه للناس وبين الجزاء لمن أحسن

*Corresponding author al-hameerawi84@gmail.com

CC BY

الأداء. قال تعالى: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) وقال تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ))

وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)). وغير ذلك من الآيات التي لا حصر لها .وجاءت رسل الله عز وجل وانبيائه عليهم الصلاة والسلام لتبين هذه الحقيقة وتبين ذلك العمل والوظيفة وتنقلهم من الظلال والخسران الى النور والفوز والنجاة.

قال تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)).

فبين الله تبارك وتعالى في هذه الآيات وفي غيرها الامر الذي لأجله خلقنا الله رب العالمين وبينه ربنا تبارك وتعالى جليا واضحا لا يشتبه على أحد ولا يلتبس على قاصد حق وسالك سبيل الصواب فاذا كان هذا المقصد الذي خلقنا لأجله فقد وجب علينا ان نعرف ماهي العبادة؟

وما حقيقتها؟ وما هي الأمور التي نتعبد بها الله تعالى؟ وماهي شروطها واركانها؟ وماهي نواقضها؟ وكيف ضل من ضل في فهمها؟ الى غير ذلك من الأمور المتعلقة بها فقد توجب علينا ان تعرف ذلك كله ونخصه بمزيد بحث ونظر.

١.١ أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الآتي:

١. العبادة هي الغاية التي خلقنا الله من اجلها.
٢. العبادة هي أصل الاعمال واصل الدين والضلال فيها يؤدي الى الخروج من الدين.
٣. العبادة لها تعلق كبير بحياة الناس فيجب على الانسان تعلمها وفهمها على اتم الوجوه.

١.٢ أسباب اختيار الموضوع:

تبرز أسباب اختيار الموضوع في الآتي:

١. الخطورة امر العبادة واهميتها في حياة الانسان والمجتمع.
٢. لكثرة ما نراه في مجتمعاتنا من إشكالات في هذا المجال التي تؤدي الى ابطال العبادة او الوقوع في
٣. الشرك وقد تؤدي للخروج من الدين بالكلية
٤. لانتشار الشبهات في هذا العصر وكثرة تداولها وسهولة انتشارها

١.٣ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان عدة أمور:

١. ان تعرف ماهية العبادة وحقيقتها.
٢. ان تكون قادرا على التمييز بين المفهوم الصحيح والخاطئ للعبادة .
٣. ان تميز بين العبادة والبدعة.
٤. ان تعرف الفرق التي ضلت وانحرفت في مفهوم العبادة وتحذرها وتحذر منها.

١.٤ تساؤلات البحث:

السؤال الرئيس العام لهذا البحث: ما. حقيقة العبادة؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما شروطها واركانها؟
٢. ما هي مبطلات العبادة واقسامها وصورها؟
٣. ما هو أصل الخلاف في مفهومها ومتى بدأ الانحراف في مفهومها ولماذا؟
٤. ما الفرق والجماعات التي ضلت وانحرفت وكيف كان ذلك والرد عليهم؟

١.٥ الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على أي بحث علمي في الموضوع وإنما وقف الباحث على بعض البحوث القريبة من موضوع الباحث التي يمكن الإفادة منها في بعض جزئيات البحث، ومنها:

١. شبهات المبتدعة في توحيد العبادة عرض ونقد / عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل.
٢. حقيقة توحيد العبادة بين شيخ الإسلام ابن تيمية والمتكلمين عبد الحق بن ملا حقي التركماني
٣. القواعد في توحيد العبادة وما يضاده من الشرك عند اهل السنة والجماعة / محمد بن عبدالله بن علي با جسير

١.٦ تقسيمات البحث

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وتساؤلاته، وحدود البحث والدراسات السابقة، وتقسيمات البحث، ومنهج البحث.

التمهيد:

المبحث الأول: مفهوم العبادة وحقيقتها

المبحث الثاني: انواع العبادة واركانها ومنزلتها ومراتبها ومقاصدها

المبحث الثالث: شروط العبادة ومبطلاتها ودوافعها وأقسامها وصورها

المبحث الرابع: أصل الخلاف في مفهوم العبادة والفرق التي انحرفت وبعض اخطائهم

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث وتوصيات الباحث.

الفهارس: وتتضمن الآتي:

١. فهرس المصادر والمراجع.
٢. فهرس الموضوعات.

١.٧ منهج البحث:

سيكون منهجي في هذا البحث هو المنهج التحليلي، مع مراعات الخطوات الإجرائية عند كتابة البحث على النحو التالي:

١. عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٢. تخريج الأحاديث النبوية والآثار الواردة في البحث من مصادرها، فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به – لتلقي الأمة لأحاديثهما بالقبول –، وما كان منها في غير الصحيحين أو أحدهما أذكر من خرجه من أهل العلم مع نقل كلام العلماء فيه من جهة الصحة.
٣. بيان الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية معتمدا في ذلك على المراجع الأصيلة.
٤. أقوم بترجمة موجزة للأعلام غير المشهورين الذين لهم علاقة مباشرة بصلب الموضوع.
٥. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط. وغير ذلك مما يراه الباحث مناسباً لطبيعة بحثه.

٢. المبحث الأول : مفهوم العبادة وحقيقتها

تعريف العبادة:

١. المعنى اللغوي:

حَرَّرَ اِبْنُ فَارِسٍ (ت: ٣٩٥) مَعَانِيَ مَادَّةَ «عَبْدٍ» فِي اَللِّسَانِ اَلْعَرَبِيِّ، فَقَالَ: اَلْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلَانْ صَحِيحَانِ، كَأَنَّهُمَا مُتَضَادَّانِ، اَلْأَوَّلَ مِنْ ذِينَكَ اَلْأَصْلَيْنِ: يَدُلُّ عَلَى لِينٍ وَذُلٍّ، وَالْآخَرُ عَلَى شِدَّةٍ وَغِلَظٍ [١].

فَالْأَوَّلُ: اَلْعَبْدُ، وَهُوَ اَلْمَمْلُوكُ، وَالْجَمَاعَةُ اَلْعَبِيدَ، وَثَلَاثَةٌ أَعْبُد، وَهُمْ اَلْعِبَادُ. قَالَ اَلْخَلِيلُ [بْنُ أَحْمَدُ اَلْفَرَاهِيدِي (ت: ٣٩٥)] إِلَّا أَنَّ اَلْعَامَّةَ اِجْتَمَعُوا عَلَى تَفْرِقَةِ مَا بَيْنَ عِبَادِ اَللَّهِ وَالْعَبِيدِ اَلْمَمْلُوكِينَ، يُقَال: هَذَا عَبْدُ بَيْنَ اَلْعُبُودَة، وَلَمْ نَسْمَعْهُمْ يَشْتَقُّونَ مِنْهُ فِعْلاً، وَلَوْ اُشْتُقَّ لَقِيلَ: عَبْدٌ، أَيْ صَارَ عَبْدًا، وَأَقَرَّ بَالْعُبُودَة، وَلَكِنَّهُ أُمِيتُ اَلْفِعْلِ فَلَمْ يَسْتَعْمِلْ.

قال: وأما عبد يعبد عبادةً؛ فلا يقال إلا لمن يعبد الله تعالى يقال منه : عبَدَ يعبُد عبادةً، وتعبد يتعبد تعبدا. فالمتعبد: المتفرد بالعبادة. واستعبدت فلانًا: اتَّخذته عبدا. وأما «عبد» في معنى حَدَم مولاه؛ فلا يقال: عبده، ولا يقال: يعبد مولاه. وتعبد فلان فلانًا، إذا صيَّره كالعبد له وإن كان حرًّا ... والمعبد: الذُّلول، يوصف به البعير أيضًا. ومن الباب: الطريق المعبد، وهو المسلوك المذل.

والأصل الآخر: العبَدَة، وهي القوة والصلابة؛ يقال: هذا ثوب له عبدة، إذا كان صفيقًا قويا» [٢] .

فمدار البحث في معنى العبادة على الأصل اللغوي الأول، وهو الدال على : «لين وذلّ»، أما الأصل الآخر فنادر الاستعمال، وقد جعل له بعض العلماء مدخلًا في تعريف العبادة.

وذكر في لسان العرب[٣] :

---

[١] كتاب مقاييس اللغة باب العين والباء وما يثلثهما ص (٢٠٥)

[٢] المصدر السابق / "مقاييس اللغة "٤/٢٠٥، وقد اختصرت بعض عباراته، وكلام الخليل في كتابه: «العين» ٢/٤٨.

[٣] لسان العرب لابن منظور ص (٢٧١) .

"قال الأزهري: ولا يقال عبد يعبد عبادة إلا لمن يعبد الله ، ومن عبد دونه إلها فهو من الخاسرين.

وفي الكشاف: [والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلّل، ومنه: ثوب ذو عَبْدَة، إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج؛ ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع الله تعالى؛ لأنه مولي أعظم النعم، فكان حقيقًا بأقصى غاية الخضوع] [١].

قال: وأَمَّا عبدٌ خَدَم مولاه فلا يقال: عبده.

قال الليث: ويقال للمشركين عبدة الطاغوت، ويقال للمسلمين: عباد الله يعبدون الله، والعابد الموحد...

وعبد الله يعبده عبادة ومعبدًا ومعبدة: تألّه له؛ والتعبد التنسك، والعبادة الطاعة، وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة: ٦٠] وقال الزجاج: تأويل (عبد الطاغوتَ) أي : أطاعه، يعني الشيطان فيما سوّل له وأغواه. قال: والطاغوت هو الشيطان. وقال في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، أي نطيع الطاعة التي يُخضع معها. وقيل: إياك نوحّد، قال: ومعنى العبادة في اللغة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مُذَلَّلًا بكثرة الوطء [٢].

الطاعة. وقال ابن الأنباري: فلان عابد، هو الخاضع لربّه المستسلم المنقاد لأمره. وقوله عزّ وجل: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} [البقرة: ٢١] أي: أطيعوا ربّكم". [٣]

وفي القاموس: "والعبادة: الطاعة". قال في شرحه تاج العروس: أما عبد الله فمصدره عبادة وعبودة وعبودية، أي: أطاعه قال ابن الأثير : ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع.

وفي المصباح: "عبدت الله أعبده عبادة وهي الانقياد والخضوع والفاعل: عابد ثم استُعْمِل فيمن اتخذ إلها غير الله، وتقرب إليه، فقيل : عابد الوثن والشمس، وغير ذلك."

وقال الراغب: "العبودية: إظهار التذلُّل، والعبادة أبلغ منها، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: { أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } [يوسف: ٤٠] [٤].

وتحرير هذه النقول أن لهم في تفسير العبادة عبارات:

١. الطاعة.
٢. الطاعة التي يُخضع معها.
٣. غاية التذَلُّل، أو أقصى درجات الخضوع.
٤. التألّه أو الطاعة. مع اعتقاد أن المطاع إله.

أما العبارة الأولى فقصورها، واضح، وقد مرّ عند الأزهري قوله : "وأما عبدٌ خَدَم مولاه فلا يقال: عَبَدَه". وقد جاء في الكتاب والسنة في مواضع لا تحصى النهي عن عبادة غير الله تعالى، وأن ذلك شرك، وهذا من ضروريات الدين .وجاء في الكتاب والسنة الأمر بطاعة الرسول وأولي الأمر والوالدين، وهو من ضروريات الدين أيضًا.

فإن قيل: فلعل للعبادة استعمالين: أحدهما بمعنى الطاعة مطلقا.

قلنا: لم ترد العبادة في الكتاب والسنة وكلام أهل العلم لغير الله تعالى إلا منْهيًا عنها، ومطلق الطاعة منها المأمور به والمستحبُّ والجائز، وقد مرّ عن الأزهري قوله: فأما عبد خدم مولاه فلا يقال: عبده.

والحاصل أن قصور تلك العبارة أمر يقيني.

وأما العبارة الثانية؛ فالخضوع إن كان هو التذلل كما هو المعروف فهو غير منهي عنه مطلقا، فقد قال تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: ٢٤]، وقال سبحانه: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٥٤]. وإن كان غيره فما هو؟

وأيضا فلا يرتاب أحد أن العبد يطيع مولاه خاضعا له. وقد مرّ عند الأزهري أن طاعة العبد لمولاه لا تسمى عبادة. وزاد بعض الأئمة في هذه العبارة قيد المحبَّة، ولم يصنع شيئًا؛ فإن العبد قد يطيع مولاه ويخضع له مع محبته إياه، وليس هذا بعبادة، والولد مأمور بطاعة والديه والخضوع لهما ومحبتهما، إلى غير ذلك.

وأما العبارة الثالثة . وهي المشهورة بين العلماء. فمجملة؛ للجهل بالحد الفاصل بين ما يُعَدُّ من الغاية وما لا يُعَدُّ منها. وأيضًا، فإن أريد بالتذلل والخضوع ما يظهر للنظر فالأمور المعلوم بأنها عبادة تختلف في درجات التذلل والخضوع، كاستلام ركن الكعبة بمحجن، ولمسه باليد، وتقبيله، ووضع الجبهة عليه،

---

[١] الكشاف للزمخشري ص (١٣) .
[٢] لسان العرب لابن منظور ص (٢٧١)
[٣] المصدر السابق ص (٢٧٤)
[٤] المصدر السابق ص (٢٧٢-٢٧١)

وكالقيام في الصلاة والركوع والسجود، وهذه كلها عبادات، فهي بمقتضى العبارة الثالثة من غاية التذلل وأقصى درجات الخضوع و أوضح من ذلك أنَّ كثيرًا من الأفعال قد يكون تارة عبادة قطعًا، ثم يكون مثله ليس قطعًا بعبادة، كالسجود الله تعالى وسجود المشرك للصنم مع سجود الملائكة لآدم وآل يعقوب ليوسف عليهم السلام .وأما العبارة الرابعة، ففهمها متوقف على فهم معنى كلمة (إله). وقد تقدَّم أن معنى (إله) معبود، وأن معرفة معنى (معبود) تتوقف على معرفة معنى العبادة، وهذا دور وتفسير مجهول بمجهول. سألنا ما معنى إله؟ قالوا: معبود، قلنا: نحن لا نعرف معنى (معبود) فما معناه؟ قالوا: (إله). وهذا كما تراه وإنما التفسير الصحيح أن يُفَسَّر المجهول بمعلوم[١] .

وقد استخلص ابن عاشور من كلام أهل اللغة معنى العبادة فقال: «إنها إظهار الخضوع للمعبود، واعتقاد أنه يملك نفع العابد وضره ملكًا ذاتيًا مستمرًا، فالمعبود إله للعابد كما حكى الله قول فرعون: (وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) [المؤمنون: ٤٧]» [٢]

٢. المعنى الاصطلاحي او الشرعي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تعريف العبادة: «والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة». [٣]

وقال ابن كثير رحمه الله: «والعبادة في الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف [٤] لأن الحب الكامل مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب، والانقياد له، فالعبد هو الذي ذله الحب والخضوع لمحبوبه، فطاعة العبد لربه تكون بحسب محبته وذله له [٥].

وقال ابن عاشور: «والعبادة في الشرع تعرف بأنها فعل ما يرضي الرب من خضوع وامتثال واجتناب، أو هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه» [٦]، فصارت في الشرع اسما لكل طاعة الله، أديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم [٧] .

فهي بهذا التفسير تشمل الامتثال لأحكام الشريعة كلها [٨] ، فهي في مفهومها العام تعني: «التذلل لله محبة وتعظيمًا، بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه» [٩].

وما جاء في قول الامام ابن تيمية رحمه الله: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وهذا التعريف من أدق التعاريف في العبادة، وهذا يذكرنا بكلام ابن القيم رحمه الله الذي فيه أن العلماء كلامهم قليل لكنه كثير البركة، بينما كلام المتأخرين كثير لكنه قليل البركة، وانظروا إلى هذه البركة العجيبة في سطر واحد، فقد استطاع أن يشمل قضية من أوسع القضايا في حياة الإنسان، فقوله: اسم جامع له دلالة كبيرة جداً، وهو أن العبادة مع الإنسان في كل وقت وفي كل حال.

ولهذا نلاحظ الشمول في العبادة في أمرين:

الأمر الأول: فيما أمر الله عز وجل به،

والأمر الثاني : في نشاط الإنسان الظاهر والباطن.

فالعبادة إذاً لها جانبان: الجانب الأول: ما أمر الله به، فالعبادة تشمل كل الواجبات وكل المستحبات، يعني: إذا نظرنا إلى الأحكام الشرعية فإن علماء الأصول يقسمون الأحكام الشرعية إلى قسمين: أحكام تكليفية وأحكام وضعية، الأحكام التكليفية هي الأحكام التي يترتب عليها الثواب والعقاب في فعل الإنسان، والأحكام الوضعية، هي الأحكام التي وضعت على شكل علامات في التعبدات المختلفة.

فأما الأحكام التكليفية فهي خمسة: الواجب، والمستحب وأحياناً يسمى المندوب والمحرم، والمكروه، والمباح.

والعبادة تتعلق بالنوعين الأولين: بالواجب والمستحب، فما يحبه الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: ما أمر به على شكل الإلزام وهذا هو الواجب، أو أمر به على غير شكل الإلزام وهذا هو المستحب أو المندوب، وكل الواجبات داخلة في العبادة، وكل المستحبات داخلة في العبادة، سواء التي تتعلق بشئون الإنسان الفردية،

---

[١] كتاب رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله ضمن آثار المعلمي – بيان المؤلف معنى العبادة لغة واصطلاحا ونقله أربع تعريفات عن العلماء في ذلك ومناقشته لها واحدا وحدا ص (٤٠-٤) .

[٢] كتاب التحرير والتنوير – سورة الذاريات ٢٦/٢٧

[٣] العبودية، ابن تيمية ص ٠٤٤

[٤] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/١٣٤.

[٥] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان ١/٤٦.

[٦] التحرير والتنوير ابن عاشور ١/١٨٠

[٧] مفاتيح الغيب، الرازي ٣٢/٢٤٣ بتصرف.

[٨] التحرير والتوير ابن عاشور ١/١٨٠

[٩] المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر صوفي ص٩٢.

أو شئونه الاجتماعية، وسواءً التي تتعلق بعلم الإنسان أو عمله أو خلقه، فهي تشمل كل حياة الإنسان، ونلاحظ هذا الشمول في قول المصنف: من الأقوال والأعمال، فكل الأقوال سواءً أقوال الظاهر أو أقوال الباطن، وكل الأعمال سواءً أعمال الظاهر أو أعمال الباطن داخلة في حقيقة الإيمان، وداخلة في حقيقة العبودية، ولهذا نلاحظ أن العبودية شاملة للدين كله.

وعرفها الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى – بقوله: (والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل) وقد علق الشيخ تقي الدين الهلالي – رحمه الله تعالى. على تعريف الشوكاني بقوله: (قول الشوكاني: والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل، إن كان يريد المعنى اللغوي فهو صحيح، وأما إن أراد المعنى الشرعي، فهو ناقص، إذ لا تتم العبادة بالخضوع والتذلل فقط حتى يصحبها الحب والتعظيم والإجلال وتوحيد الله بذلك [١].

وقريباً منه تعريف الإمام الصنعاني – رحمه الله تعالى – (إن العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تستعمل إلا في الخضوع الله تعالى.

وعرفها الإمام المعلمي – رحمه الله تعالى – بقوله: وتحرير العبارة في معنى العبادة أن يقال: خضوع اختياري يطلب منه نفع غيبي). وقال – رحمه الله تعالى – أيضاً: «هي طاعته بامتثال ما أمر به ورضيه واجتناب ما نهى عنه وكرهه)).

وعرفها الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – بقوله: (هي التذلل الله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه) وكل ما سبق من تعريفات، فإن فيها التنصيص على أصل العبادة وحقيقتها. وعرفها الإمام ابن حبان –رحمه الله تعالى – بقوله: (عبادة الله: إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح).

وفي هذا التعريف جمع شرطي العبادة مع بعض أوصافها وعرفها الشيخ أحمد بن يحي النجمي حفظه الله – بقوله: (وهي مجموعة التكاليف الشرعية التي كلف الله بها عباده؛ سواء كان ذلك فيما يجب له عليهم، أو فيمل يجب لبعضهم على بعض، أو فيما يجب عليهم أن يفعلوه في أنفسهم). ويؤخذ من هذا التعريف أن العبادة يمكن تصنيفها بحسب متعلقها إلى الآتي: –

أولاً: عبادة متعلقة بالله وحده ؛ كتوحيده تعالى، وإقامة الصلاة، والصوم، وغيرها.

ثانياً: عبادة متعلقة بالخلق مع غيرهم، فتجب لبعضهم على بعض طاعة الله؛ كالحقوق الشرعية بين المسلمين، من رد السلام والتشميت والأمر بالمعروف، وغير ذلك

ثالثاً: عبادة متعلقة بالخلق مع أنفسهم، من إطعام وكسوة، وكسنن الفطرة، وغير ذلك عرفها بعضهم بقوله: (عبارة عن توحيده والتزام شرائع دينه) .وهنا نلاحظ شمول العبادة واستيعابها لكم كبير من الأفراد والجزئيات

وهكذا فإنك تجد غالب من عرف العبادة ضمنها لمعانيها اللغوية فمن ذلك غاية الخضوع والتذلل والاستكانة والانقياد والطاعة، كما أنهم أضافوا للمعاني اللغوية غاية الحب وكمال المحبة.

قال شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله تعالى –: (والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل فالعابد محب خاضع، بخلاف من يحب من لا يخضع له، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه، كما يخضع للظالم، فإن كلاً من هذين ليس عبادة محضة).

ومما سبق من تعاريف يلاحظ أن بعضهم تعرض لكمال العبادة وشمولها، وبعضهم عرفها بذكر شروطها وأوصافها ومنهم من عرفها بذكر أصلها وأساسها، مع إضافة كمال الحب في المعنى الشرعي، وبعضهم عرفها بالنظر إلى تعلقها، سواء بالخالق، أو بالمخلوق[٢] .

قال الراغب الأصبهاني (ت: ٥٠٢)، قال: «العبودية: إظهار التذلُّل، والعبادة: أبلغ منها، لأنها غاية التذلُّل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء: ٢٣]. والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير، وعلى ذلك قوله: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد: ١٥].

وعبادة بالاختيار، وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في نحو قوله: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} [البقرة: ٢١]، {وَاعْبُدُوا الله} [النساء: ٣٦]. والعبد يقال على أربعة أضرب: الأول : عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه، نحو: {الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ} [البقرة: ١٧٨]، { عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} [النحل: ٧٥].

الثاني: عبد بالإيجاد، وذلك ليس إلا الله، وإياه قصد بقوله: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم: ٩٣]

والثالث: عبد بالعبادة والخدمة والناس في هذا ضربان:

عبد الله مخلص، وهو المقصود بقوله : {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ} [ص: ٤١]،{ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء:٣]، { نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} [الفرقان: ١]، {عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} [الكهف: ١]، {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الحجر: ٤٢]، {كُونُوا عِبَادًا لي} [آل عمران (٧٩]، {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر: ٤٠]، {وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ} [مريم: ٦١]، {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } [الفرقان: ٦٣]، {فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا} [الدخان: ٢٣]، {فَوَجَدَا عَبْدًا

---

[١] كتاب شرح رسالة العبودية لابن تيمية عبد الرحيم السلمي – تعريف العبادة ص (٩)

[٢] كتاب المصطلحات المستعملة في توحيد الالوهية ص (٥٣٧ – ٥٤٢)

مِنْ عِبَادِنَا} [الكهف: ٦٥] . وعبد للدنيا وأعراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار» [١].

وعلى هذا النحو يصح أن يقال: ليس كل إنسان عبدا الله، فإن العبد على هذا بمعنى العابد، لكن العبد أبلغ من العابد، والناس كلهم عباد الله، بل الأشياء كلها كذلك، لكن بعضها بالتسخير، وبعضها بالاختيار. وجمع العبد الذي هو مسترق : عبيد، وقيل: عبدى. وجمع العبد الذي هو العابد: عباد، فالعبيد إذا أضيف إلى الله أعم من العباد. ولهذا قال: {وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [ق: ٢٩]، فنبه أنه لا يظلم من يختص بعبادته، ومن انتسب إلى غيره من الذين تسموا بعبد الشمس، وعبد اللات ونحو ذلك. ويقال : طريق معبد، أي: مذلل بالوطء، وبعير معبد مذلل بالقطران، وعبدتَ فلانًا: إذا ذللته، وإذا اتخذته عبدا؛ قال تعالى: {أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائيل} [الشعراء: ٢٢]» [٢].

نخلص من هذا إلى أن العبادة في المفهوم الشرعي مبني على هذا المعنى اللغوي، مع زيادة تقتضيها الحقيقة الشرعية، لهذا كان مدار كلام العلماء في تعريفها من حيثُ حقيقتها وماهيتها بأنها: إفراد الله تعالى بالطاعة مع التذلُّل والخضوع والخوف، على وجه الإجلال والتعظيم والمحبَّة فالعبادة ليست تذللا ،مجردًا، ولا هي مرادفة للطاعة [٣] ولا مطلق الطاعة، بل تذلل وخضوع وطاعة مخصوصة مقترنة بالنية والإخلاص، والمحبة والتعظيم، ولخص ابن القيم ذلك بقوله: «العبودية قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحبّ مع غاية الذلّ» [٤] .

كما قال في نونيته:

وعبادة الرحمن غاية حبه

وعليهما فلك العبادة دائر

مع ذل عابده هما قطبان

ما دار حتى قامت القطبان

عندما ذكر الشيخ ابن تيمية رحمه الله معنى العبادة في اللغة وأنها تأتي بمعنى الذل والخضوع، يقال: طريق معبد، ذللته الأقدام، والعبد هو الذليل الذي في أمر سيده دائماً، زاد في الشرع معنى جديداً، حيث قال: لكن العبادة المأمور بها –يعني: مع وجود الذل والخضوع الذي هو مقتضاها اللغوي لا بد أن ينضاف إليها أيضاً معنى جديد في المصطلح الشرعي وهو : أن العبادة تشمل الذل مع المحبة، فالمحبة لا بد من دخولها في حقيقة العبادة الشرعية، وهذا كثير في اللغة أصلاً وفي الاصطلاح، فالصلاة أصلاً معناها في اللغة: الدعاء، فجاء الشرع واستعمل كلمة الصلاة – التي معناها الدعاء في اللغة لأفعال مخصوصة بشكل مخصوص منه الدعاء، ومنه ما هو ليس بدعاء وإنما يتضمن معناه، مثل السجود والركوع ليس دعاءً، وأيضاً فيها دعاء الصلاة ، وهكذا كالصيام، فالصيام معناه: الإمساك في اللغة، فاستخدم في الشرع بمعنى: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع والمفطرات في وقت محدد.

فأحياناً الكلمة قد يكون معناها اللغوي عاماً، لكن يستخدم في المعنى الشرعي بنفس المعنى اللغوي أحياناً، يزاد فيه، وأحياناً يضبط بوقت، وأحياناً ينقص منه شيء، لكن لا بد أن يكون هناك ارتباط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ لأنه لا يمكن استخدام كلمة في غير معناها تماماً، يعني: بدون أن يكون هناك ارتباط لغوي بينهما. فالعبادة إذاً في معناها الشرعي تشمل أمرين: الأمر الأول: الذل، والأمر الثاني: المحبة، فالذل بدون محبة ليس عبادة، والمحبة بدون ذل ليست عبادة، ومثال الذل بدون محبة: ذل بني إسرائيل تحت فرعون.

عندما يكون هناك طاغوت يحكم الناس بالحديد والنار وبالقوة، ويذلهم إذلالاً شديداً، وهم يكرهونه في قلوبهم هل يقال إن المحكومين تعبدوا للحاكم هنا؟

فالعبادة إذاً في معناها الشرعي تشمل أمرين: الأمر الأول: الذل، والأمر الثاني: المحبة، فالذل بدون محبة ليس عبادة، والمحبة بدون ذل ليست عبادة، ومثال الذل بدون محبة: ذل بني إسرائيل تحت فرعون. عندما يكون هناك طاغوت يحكم الناس بالحديد والنار وبالقوة، ويذلهم إذلالاً شديداً، وهم يكرهونه في قلوبهم هل يقال إن المحكومين تعبدوا للحاكم هنا؟

أيضاً لو أن إنساناً أحب لكن بدون ذل وخضوع فلا يعتبر عبداً لمن أحبه، فأنت تحب ابنك، تحب زوجتك، وأمك، وأباك، وتحب أصدقائك وزملاءك، وتحب من يتعامل معك تعاملاً حسناً، لكن ليس فيه ذل وخضوع، ولهذا لا يكون ذلك عبادة لغير الله عز وجل؛ لأنها تسمى محبة طبيعية، ولا تكون عبادة إلا إذا كان فيها ذل وخضوع، وانكسار للمعبود، مع محبة وتعلق به، حينئذ يكون الفعل هذا عبادة، مثلما يفعله الشيعة مثلاً عند قبور أئمتهم، فإنهم يشعرون بذل وانكسار وحاجة لأصحاب القبور مع تعلق ومحبة وتعظيم في قلوبهم لهم، وكذلك ما يفعله الصوفية بالنسبة لأئمتهم، فهذا تعبد لغير الله عز وجل، ولا شك أنه يوصل إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى.

---

[١] كتاب الموسوعة العقدية – الفصل الرابع تعريف العبادة وبيان إطلاقها وأركانها وشروطها ص (٢٩٨) .

[٢] مفردات ألفاظ القرآن ص (٥٤٢)

[٣] الألفاظ المترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد. انظر: «المزهر» للسيوطي ١/٣٣

[٤] الداء والدواء ص (٣١٥) .

وذكر الشيخ مراتب المحبة، وأن المحبة على مراتب من ضمن هذه المراتب: التعبد، فالعلاقة نوع من أنواع المحبة، والتتيم نوع من أنواع المحبة والعشق نوع من أنواع المحبة والصبابة نوع من أنواع المحبة، وكل هذه فيها أشعار كثيرة ذكر جملة منها ابن القيم في الجواب الكافي، وسيأتي الحديث عن موضوع العشق – عشق الصور بشكل خاص– وحكمه في مكانه من هذا الكتاب بإذن الله تعالى. فقول ابن تيمية رحمه الله: ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابـداً له، هذه قاعدة عظيمة في هذا الباب، يجب أن تحفظ، ثم ما ذكره بعد ذلك هي عبارة عن أمثلة، ثم ختم الشيخ هذا المقطع بأنه لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يستحق العبادة إلا الله، وكل من أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل.

إذا تبين فيما سبق – أنَّ الله تعالى خلق الخلق لعبادته، فهي الغاية العليا والمقصد الأسمى من وجود الإنسان على هذه البسيطة، وللأمر بها والنهي عما يضادها وينافيها: أرسل الله رسله وأنزل كتبه، ووضع شريعته، وأنَّ مصير الإنسان في الحياة الآخرة الأبدية يكون حسب موقفه من هذا الحقِّ الخالص لله ربّ العالمين، إذا تبيَّن هذا: فإنَّ من المجمع عليه المسلمين من أهل الملة والقبلة – على اختلاف فرقهم ومذاهبهم – أنَّ «العبادة» هي الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر والدعاء، وكل عمل صالح يراد به وجه الله تعالى، ويُبتغى به مرضاته. فهذه هي «العبادة» في عُرف جميع المسلمين وفهمهم، وإنما يقع الخلاف بينهم في أحكامها التفصيلية المتعلقة بأعيانها من جهة ثبوتها وضوابطها وشروطها وأركانها وصفاتها، ونحو ذلك من الأمور، فمن اتبع الكتاب والسنة ومنهاج السلف الصالح في جميع عباداته: اهتدى ورشد، ومن خالف ذلك بشرك، أو غلو، أو بدعة، أو هوى فقد ضل ،وغوى، والمعصوم من عصمه الله تعالى وسدده ووفقه.

والمقصود: أنَّ المسلمين – منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحتى العصر الحاضر – لم يفهموا «العبادة» – التي هي وظيفتهم في هذه الحياة، والغاية من خلقهم – إلا أنها هذه العبادات التي شرعها الله تعالى لعباده وأمرهم بإقامتها ووعدهم بالثواب الحسن عليها. فهذا القدر هو الأصل الكلي لأهل السنة والجماعة، ووافقهم عليه جميع الفرق الإسلامية كالخوارج والمرجئة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والصوفية، ولم يخالف هؤلاء ويشذَّ عنهم إلا الباطنية الزنادقة من غلاة الفلاسفة وغلاة الصوفية وأشباههم، وهؤلاء ليسوا من أهل القبلة والملة الإسلامية [١].

فمن أراد معرفة حقيقة العبادة وماهيتها فليرجع إلى مصنفات جميع الفرق والمذاهب الإسلامية في مختلف العلوم الشرعية، مثل الاعتقاد، والتفسير، وشروح السنة، والفقه وأصوله، والسلوك والتزكية، بل حتى علوم اللغة والأدب والتاريخ وغيرها [٢] . وليجدن تصورهم عن ماهية العبادة وحقيقتها واحدًا؛ وإن تنوعت عباراتهم واختلفت مناهجهم وانحرفوا في قليل أو كثير من مسائل الاعتقاد والعمل، ولْيُلاحِظَنَّ أنَّ تعريفاتهم لمفهوم «العبادة» لا تخرج عن اثنين: إما أن يعرفوها: ماهيتها، وإما أن يعرفوها بالمثال، فيذكروا أنواعها وأفرادها.

حقيقة العبادة

اما حقيقة العبادة فهي استسلام القلب والجوارح الله حباً وخضوعاً له وخوفاً من عذابه لا يشرك به في ذلك كله لأنه المستحق للعبادة وحده دون غيره [٣] .

٣. المبحث الثاني : انواع العبادة واركانها ومنزلتها ومراتبها ومقاصدها :

أنواع العبادة:

للعبادة معان بحسب ما يتعلق بها، فالعبادة من حيث تعلقها بعموم الخلق وخصوصهم تنقسم إلى نوعين:

أولا: عبادة عامة:

وهي عبودية أهل السماوات والأرض، قال تعالى: (إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) [مـــريم:٩٣]. قال ابن القـيم: «فالعبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم الله برهم، وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، ويدخل فيه مؤمنهم وكافرهم [٤]. وتسمى كذلك بالعبادة الكونية.

قال ابن عثيمين: «فالعبادة الكونية: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها فهي شاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر [٥]. فكل من في السماوات والأرض فهو خاضع الله سبحانه وتعالى كونا فلا يمكن أبدًا أن يضاد الله أو يعارضه فيما أراد سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية، والعابدون بالعبودية الكونية لا يثابون عليها؛ لأنهم خاضعون لله تعالى شاءوا أم أبوا، فالإنسان يمرض، ويفقر، ويفقد محبوبه من غير أن يكون مريدًا لذلك، بل هو كاره لذلك لكن هذا خضوع الله عز وجل، [٦]خضوعا كونيًا فالخلق كلهم عبيد ربوبيته .وأما وصف العبيد ربوبيته بالعبودية فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه:

---

[١] كتاب شرح رسالة العبودية لابن تيمية عبد الرحيم السلمي – اشتمال العبادة على الذل والمحبة ص (١٠–١٤)

[٢] كتاب شرح رسالة العبودية لابن تيمية عبد الرحيم السلمي – اشتمال العبادة على الذل والمحبة ص (١٣)

[٣] كتاب مفهوم العبادة لمحمد سعيد رسلان ص (٣٢)

[٤] مدارج السالكين، ابن القيم ١/١٢٥ بتصرف واختصار.

[٥] مجموع فتاوى ورسائل، ابن عثيمين ٦/٣٢.

[٦] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١/٨٩

فالأول: إما مُنكرًا، كقوله تعالى: (إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) [مريم:٩٣].

والثاني: معرفًا باللام، كقوله تعالى: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) [غافر: ٣١ .]وكقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) [غافر:٤٨].

الثالث: مقيدًا بالإشارة أو نحوها، كقوله تعالى: (أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ) [الفرقان:١٧].

الرابع: أن يذكروا في عموم عباده، فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر، كقوله تعالى: (أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ) [الزمر: ٤٦].

الخامس: أن يُذكروا موصوفين بفعلهم، كقوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ) [الزمر:٥٣].

وقد يقال: إنما سماهم عباده إذ لم يقنطوا من رحمته، وأنابوا إليه، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، فيكونوا من عبيد الإلهية والطاعة [١]

ثانيًا: عبادة خاصة:

وهي عبودية الطاعة والمحبة، وهي خاصة بالمؤمنين القائمين بأمره سبحانه وتعالى .قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) [الفرقان:٦٣]

قال ابن القيم: «فالعبودية الخاصة: هي عبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر .قال تعالى: (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) [الزخرف:٦٨].

وقال تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ) [الزمر: ١٨-١٧].

وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته، ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقا إلا لهؤلاء»[٢] وتسمى كذلك بالعبادة الشرعية.

قال ابن عثيمين: «وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي، وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى، واتبع ما جاءت به الرسل، مثل قوله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) [الفرقان: ٦٣][٣] .

فهي التذلل له سبحانه وتعالى شرعا فهذه خاصة بالمؤمنين بالله سبحانه وتعالى القائمين بأمره، ثم إن منها ما هو خاص أخص كعبودية الرسل عليهم الصلاة والسلام، مثل قوله تعـالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان: ١]

وقوله تعالى: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ) [البقرة:٢٣].

وقوله تعالى: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ) [ص: ٤٥].

وغير ذلك من وصف الرسل عليهم الصلاة والسلام بالعبودية .[٤]

منزلة العبودية

ولخصها الشيخ عبد الرحيم السلمي في شرحه لكتاب العبودية لابن تيمية بالآتي:

- العبودية هي الغاية من إرسال الرسل
- العبودية هي الميثاق الذي أخذه الله على عباده
- العبودية حق الله تعالى
- العبودية أول واجب على المكلف
- العبودية هي الأساس في المحاورة مع أهل الأديان
- العبودية أساس الاستخلاف والنصر
- العبودية أساس دخول الجنة

أركان العبادة

لكل بناء أركان يقوم عليه، وبغيرها يكون بناءً ناقصا ومشوها، ولا يقي صاحبه من برد ولا حر، وهكذا هو بناء عبادة الله سبحانه وتعالى، له ركنان يقوم عليهما، ويصبح مقبولًا . عند الله سبحانه وتعالى، وهذان الركنان هما:

أولا: غاية الحب

وهو تقديم محبة الله ورسوله على غيرهما.

قال تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) [التوبة: ٢٤]

---

[١] مدراج السالكين ، ابن القيم ١/١٢٦ - ١٢٧

[٢] المصدر السابق بتصرف

[٣] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٦/٣٣ .

[٤] المصدر السابق ١/٨٩

قال البغوي: «لما نزلت الآية الأولى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [التوبة:٢٣].

قال الذين أسلموا ولم يهاجروا إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجاراتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا، فنزل قوله تعالى:(فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)»[١].

قال القرطبي: «وفي الآية دليل على وجود الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب [٢] .«

وقال ابن عاشور : «فإذا حصل التعارض والتدافع بين ما أراده الله من المؤمنين وبين ما تجر إليه تلك العلائق، وجب على المؤمن دحضها وإرضاء ربه، وقد أفاد هذا المعنى التعبير «بأحب» لأن التفضيل في المحبة يقتضي إرضاء الأقوى من المحبوبين، ففي هذا التعبير تحذير من التهاون بواجبات الدين مع الكناية عن جعل ذلك التهاون مسببا على تقديم محبة تلك العلائق على محبة الله، ففيه إيقاظ إلى ما يؤول إليه ذلك من مهواة في الدين وهذا من أبلغ التعبير» [٣].

والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا [٤]« .

ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر؛ ولذا قال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق،

ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد [٥], فجنس المحبة يكون لله ولرسوله كالطاعة فإن الطاعة لله ولرسوله [٦].

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم تقديم محبة ورسوله على محبة غيرهما من خصال الإيمان، ومن علامات وجود حلاوة الإيمان في القلوب: ففي «الصحيحين « عن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر

بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار) [٧]. ومحبة العبد الله ورسوله وطاعته لهما واتباعه أمرهما. قال الله تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) [آل عمران:٣١]. قال الحسن وابن جريج: نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن الذين نحب ربنا، وروي أن المسلمين قالوا: يا رسول الله ، والله إنا لنحب ربنا فأنزل الله هذه الآية[٨] قال ابن القيم: «فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم الله ، وشرطا لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فانتفاء محبتهم الله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذًا ثبوت محبتهم الله، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله [٩].

ثانيًا: غاية الذل والخضوع:

وهو الذل والخضوع الله سبحانه وتعالى.

قال جل شأنه: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥].

قال الطبري: « وتأويل قوله: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لك اللهم نخشع ونذل ونستكين؛ إقرارًا لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك» [١٠]. وقد ذكر الطبري العلة في اختياره لهذا التأويل حيث قال: «لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة» [١١].

وقال الماوردي: «وقوله: (إِيَّاكَ) فيه ثلاث تأويلات: أحدها: أن العبادة الخضوع، ولا يستحقها إلا الله تعالى؛ لأنها أعلى مراتب الخضوع، فلا يستحقها إلا المنعم بأعظم النعم، كالحياة والعقل، والسمع والبصر. والثاني: أن العبادة الطاعة. والثالث: أنها التقرب بالطاعة. والأول أظهرها؛ لأن النصارى عبدت عيسى عليه

---

[١] معالم التنزيل، البغوي ٢/٣٢٨.

[٢] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨/٩٥.

[٣] التحرير والتنوير ابن عاشور ١٠/١٥٣.

[٤] مدارج السالكين، ابن القيم ١/٩٥-٩٦ باختصار.

[٥] معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي ٢/٤٣٧.

[٦] العبودية، ابن تيمية ص ٤٩.

[٧]أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم ١٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب خصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان، رقم ٦٧ .

[٨] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/٦٠ بتصرف.

[٩] مدارج السالكين، ابن القيم ١/١١٩.

[١٠] جامع البيان، الطبري ١/١٥٧.

[١١] المصدر السابق ١/١٦١.

السلام، ولم تطعه بالعبادة، والنبي صلى الله عليه وسلم مطاع، وليس بمعبود بالطاعة» [١] . والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارًا إليه وخضوعًا له كان أقرب إليه وأعز له وأعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله [٢].

وفي الآية إعلام بما صدع به الإسلام من تحرير الأنفس لله تعالى وتخليصها لعبادته وحده، فإن كل ذلك إنما يستحقه فاطر الأرض والسموات وحده، وذلك أن لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب. فلا بد أن يكون العابد محبًا للإله المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل، وهما لا يصلحان إلا الله وحده [٣].

ونستخلص مما سبق أن العبادة تتضمن ركنان أساسيان لا قوام للعبادة بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل والخضوع، ولا يستحقها إلا المنعم جل وعلا.

مراتب العبادة

الأولى: أن يعبد الله طمعا في الثواب وخوفًا من العقاب وهي العبادة، وهي درجة نازلة ساقطة؛ لأنه جعل الحق وسيلة.

الثانية :أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته؛ والانتساب إليه بقبول تكاليفه؛ وهي أعلى من الأولى إلا أنها ليست كاملة؛ لأن المقصود بالذات غير الله.

الثالثة: أن يعبد الله لكونه إلها خالقًا مستحقا للعبادة وكونه هو عبدًا له وهذه أعلى المقامات وهو المسمى بالعبودية [٤].

مقاصد العبادة وآثارها

لقد فرض الله تعالى عن الناس عبادات لها مقاصدها وآثارها في إصلاح الفرد والمجتمع، وفي تزكية الأنفس وإصلاح القلوب، ولها آثار ونتائج مفيدة.

وسيتم الحديث عنها في النقاط الآتية:

أولا : مقاصد العبادة:

إن المقصد الأعظم والباعث الأساسي للعبادة هو استحقاق الله تعالى لذلك، فنحن نعبد الله جل وعلا؛ لأنه مستحق للعبادة؛ وتحقيقًا للغاية التي من أجلها خلق الإنس والجن.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:٥٦]. فالمقصد الأصلي للعبادات هو تحقيق العبودية لله والانقياد له سبحانه وتعالى. قال الشاطبي: «إن مقصود العبادات الخضوع لله، والتوجه إليه، والتذلل بين يديه والانقياد تحت حكمه، وعمارة القلب بذكره، حتى يكون العبد بقلبه وجوارحه حاضرًا مع الله، ومراقبا له غير غافل عنه، وأن يكون ساعيًا في مرضاته وما يقرب إليه على حسب طاقته» [٥]. ونجد أن هذا المعنى قد تقرر في القرآن بأساليب مختلفة، منها ما جاء بصيغة الأمر. قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) [النساء:٣٦]

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ٢١] . وقال تعالى : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ) [الزمر : ٦٦]. إلى غير ذلك من الآيات [٦] .

وهناك بعض المقاصد للعبادات قد نص الله تعالى عليها في كتابه، وبين ثمرتها وفائدتها، ومن ذلك [٧] :

أنه قال في الصلاة: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) [طه:١٤].

قال السعدي: «وقوله: (لِذِكْرِي) اللام للتعليل: أي: أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي؛ لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة.

قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: ٤٥]. أي: ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادة؛ لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح» [٨]

---

[١] النكت والعيون، الماوردي ١/٥٧-٥٨.

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية ١/٣٩.

[٣] محاسن التأويل، القاسمي ١/٢٢٨

[٤] مفاتيح الغيب، الرازي ١/٢١٤ بتصرف.

[٥] الموافقات الشاطبي ٢/٣٨٣

[٦] مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية محمد اليوبي ص ٤٨٥ بتصرف.

[٧] المصدر السابق ص ٤٨١ بتصرف.

[١] تيسير الكريم الرحمن السعدي ص ٥٠٣ بتصرف واختصار.

وقال في الزكاة: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة: ١٠٣]. والصدقة تطلق على الفرض والنفل وسمى الله تعالى الزكاة صدقة؛ لأن المال بها يصح ويكمل، فهي سبب إما لكمال المال وبقائه وإما لأنه يستدل بها على صدق العبد في إيمانه وكماله فيه[١].

وقد بين الله تعالى الحكمة في الزكاة وبيان مصالحها العظيمة، فقوله: (تُطَهِّرُهُمْ) أي: من الذنوب ومن الأخلاق الرذيلة، وتطهر المال من الأوساخ والآفات، وأما قوله: (وَتُزَكِّيهِمْ) فالزكاة هي النماء والزيادة، فهي تنمي المؤتي للزكاة، تنمي أخلاقه، وتحل البركة في أعماله، وتنمي المال بزوال ما به ضرره وحصول ما فيه خيره، وتحل فيه البركة من الله [٢]. ونسبت التزكيــة إلى رسول الله؛ لأنه هو المربي للمؤمنين على ما تزكو به نفوسهم [٣]. وفي الآية دلالـــة على أن الزكاة إنما يتولى أخذهـا الإمام أو نائبه؛ لأنه تعالى جعل للعاملين سهمًا منها [٤]. وفيها دلالة على وجوب الزكـاة في جميع الأمـوال، وأن العبــد لا يمكنــه أن يتطهر ويتزكي حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها؛ لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها [٥].وقال في الصيام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:١٨٣].

قال أبو زهرة: «وقد بين الله تعالى حكمة شرعيته بقوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أي رجاء منكم لأن تصلوا إلى درجة المتقين، فتتقوا المعاصي، وسيطرة الأهواء والشهوات على نفوسكم، وذلك لأن الصوم يربي النفس على الضبط، والاستيلاء على أهوائها وشهواتها، وحيث قويت الإرادة قوي سلطانها على الالتواء وعلى الشهوات» [٦].

وفي الآية تأكيد للحكم، وترغيب في الفعل، وتطييب لأنفس المخاطبين فإنه عبادة شاقة، والأمور الشاقة إذا عمت كثيرًا من الناس سهل تحملها ورغب كل أحد في عملها [٧] . وقال في الحج: (وَأَذِن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ هُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ [الحج:٢٧– ٢٨].

قال الرازي: «لما أمر بالحج في قوله: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) ذكر حكمة ذلك الأمر في قوله: (مَنَافِعَ لَهُمْ) واختلفوا فيها فبعضهم حملها على منافع الدنيا، وهي أ أن يتجروا في أيام الحج، وبعضهم حملها على منافع الآخرة، وهي العفو والمغفرة، وبعضهم حملها على الأمرين جميعا وهو الأولى، ثم نكر المنافع؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات[٨] « . ولأن العبادات شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال [٩] . وكنى عن الذبح والنحر بذكر اسم الله تعالى؛ لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا وذبحوا، وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله تعالى أن يذكر اسم الله تعالى، وأن يخالف المشركين في ذلك، فإنهم كانوا يذبحونها للنصب والأوثان [١٠] .

ثانيًا: آثار العبادة :

إن الإسلام قد فرض على الناس عبادات لها أثر حسن في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس [١١]، فأثرها يتمثل في تقويم أخلاقهم، وتزكية نفوسهم، وتوجيههم الوجهة النافعة، وقد أوصى الله عباده بالفضائل، وحذرهم من الرذائل، فقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَـــانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠] [١٢]. ومن الآثار المترتبة على العبادات: انشراح الصدر، وراحة البال وسعة الرزق، وسلامة الإنسان وارتياحه واطمئنانه، وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تدل على تلك الآثار، وعلى أن تقوى الله عز وجل والأعمال الصالحة يترتب عليها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. قال الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف : ٩٦].

---

[١] مفاتيح الغيب، الرازي ٧/٦١.

[٢] تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن السعدي ص٧٦–٧٧ باختصار.

[٣] تفسير المراغي ١١/١٦–١٧ بتصرف.

[٤] غرائب القرآن ورغائب ،الفرقان، النيسابوري ٣/٤٩٢.

[٥] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٥٠.

[٦] زهرة التفاسير، أبو زهرة ١/٥٥١ باختصار يسير.

[٧] تفسير المراغي ٢/٦٨.

[٨] مفاتيح الغيب , الرازي ٢٢١/٢٣

[٩] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي ٢/٤٣٦.

[١٠] مفاتيح الغيب، الرازي ٢٣/٢٢١.

[١١] العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع، محمود السيد شيخون ص ٨٩.

[١٢] العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين على عبد اللطيف منصور ص ١١٩ باختصار.

فإن هذه الآية الكريمة تدل على أن من اتقى الله عز وجل وآمن به، فإن الله تعالى يثيبه ويعطيه في الحياة الدنيا من الرزق، ويفتح عليه من بركات السماء والأرض وما ذكره الله في هذه الآية عن أهل القرى، هو من الثواب الدنيوي على الإيمان والتقوى، وأما الثواب الأخروي للمؤمنين المتقين، فقد ذكره الله تعالى في قوله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [المائدة: ٦٥] .وقال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [الأحزاب: ٧٠] .وهذه عبادة، ثم ذكر الأثر المترتب على ذلك بقوله: (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧١].

فإن إصلاح الأعمال في الدنيا، ومغفرة الذنوب في الآخرة، من الآثار المترتبة على العبادة، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على ذكر آثار تترتب على العبادة في الدنيا وفي الآخرة. وقال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧] . قال القاسمي في هذه الآية: «فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة، والحسنى يوم القيـــامة، فلهم أطيب الحياتين وهم أحـياء في الداريــن»[١] ، ثم إن من العبادات الصلاة والزكاة والصيام والحج، وكل واحدة منها لها آثار طيبة في حياة المسلم.

فالصلاة هي عمود الإسلام، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر. قال الله عز وجل: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت:٤٥] . وهي صلة وثيقة بين العبد وبين ربه، فإذا حافظ الإنسان على الصلوات في المساجد جماعة مع المسلمين فإنه تقوي صلته بالله عز وجل؛ لأنه يكون على صلة بالله دائمًا وأبدًا في اليوم والليلة [٢] ؛ لذلك حث الله تعالى على إقامة الصلاة في الجماعة، قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [البقرة: ٤٣]. ومن آثارها أنها تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة المشقات والمكاره في الحياة الدنيا، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة:١٥٣] [٣]. ثم إن الزكاة آثارها عظيمة فهي تطهر النفس من الشح والبخل، وتطهر المال، وتكون سببًا في نمائه وكثرته، وبذلك يحصل الخير والفلاح والفوز [٤]. قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة:١٠٣]. وقال ابن عاشور في قوله تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [التغابن:١٦]. والمعنى: أن الإنفاق يقي صاحبه من الشح المنهي عنه، فإذا يسر على المرء الإنفاق فيما أمر الله به فقد وقي شح نفسه، وذلك من الفلاح وإضافة الشح إلى النفس؛ للإشارة إلى أن الشح من طباع النفس، فإن النفوس شحيحة بالأشياء المحببة إليها، قال تعالى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَ: وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [النساء:١٢٨]» [٥]. وأما الصيام فإن آثاره عظيمة، ونتائجه كبيرة، قال تعالى: (ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣].

ال المراغي: «فرضه عليكم ليعدكم لتقوى الله بترك الشهوات المباحة الميسورة ؛ امتثالا لأمره واحتسابًا للأجر عنده، فتتربى بذلك العزيمة والإرادة على ضبط النفس وترك الشهوات المحرمة والصبر عنها، وإعداد الصوم لتقوى الله يظهر من وجوه كثيرة، منها: أنه يُعوّدُ الإنسان الخشية من ربه في السر والعلن، ويكسر حدة الشهوة، ويجعل النفس مصرفة لشهواتها بحسب الشرع، ويعود الشفقة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة، فهو عند ما يجوع يتذكر من لا يجد قوتًا من أولئك البائسين، فيرق قلبه لهم ويشفق عليهم، وفي ذلك تكافل للأمة وشعور بالأخوة الدينية» [٦]. وأما الحج فإنه عبادة عظيمة، ولها آثار طيبة، ونتائج حميدة في حياة الإنسان. قال تعالى: (الحَج أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ، فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [البقرة: ١٩٧].

فالحج غذاء روحي كبير تمتلئ فيه جوانح المسلم خشية وتقى لله رب العالمين، ففي كل منسك من مناسكه غذاء للروح، فما الإحرام إلا تجرد من شهوات النفس والهوى، وحبس للنفس عما سوى الله عز وجل، وحث على التفكير في عظمة الله جل جلاله، وحث على تذكر الموت والاستعداد له بالعمل الصالح فالحاج في لباس إحرامه يذكر الميت في أكفانه، وما التلبية إلا استجابة وذكر وطاعة وامتثال ، وما الطواف بعد التجرد إلا استحضار لعظمة الله تعالى حول بيته، وامتثال لأمره (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [الحج: ٢٩]. وما السعي بين الصفا والمروة إلا تردد بينهما التماسا لرحمة الله تعالى وطلبا لمغفرته وما الوقوف بعرفة إلا بذل للمهج في الضراعة إلى الله بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء وألسنة لاهجه بالدعاء وآمال صادقة في أرحم الراحمين، وما الرمي بعد ذلك إلا رمز لاحتقار عوامل الشر ونزعات الشيطان، وما الذبح إلا إراقة للدم الذي أمر الله به أن يراق ورمز للتضحية والفداء (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

---

[١] محاسن التأويل، القاسمي ٧/١٥٩.

[٢] أثر العبادات في حياة المسلم، عبد المحسن البدر ص ٢٠ بتصرف.

[٣] العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع، محمود السيد شيخون ص ٩٠ بتصرف.

[٤] أثر العبادات في حياة المسلم، عبد المحسن البدر ص ٢١ بتصرف.

[٥] التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٨/٢٨٩

[٦] تفسير المراغي ٢/٦٨-٧٠ بتصرف واختصار.

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ١٦٢] [١]. والحاصل أن هذه العبادات العظيمة التي شرعها الله عز وجل، وبنى عليها دينه الحنيف، تترتب عليها آثار طيبة في حياة المسلم الدنيوية، وآثار عظيمة في حياته الأخروية[٢] .

٤. المبحث الثالث : شروط العبادة ومبطلاتها ودوافعها وأقسامها وصورها :

شروط العبادة:

كما أن لكل عبادة في الإسلام أركان تقوم عليها، فكذلك لها شروط لا تصح إلا بها. فأما شروط العبادة فهي:

أولا: إخلاص النية:

فالإخلاص لله تعالى شرط أساسي لقبول العبادة. قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [البينة: ٥]. وقد اختلفت ألفاظ السلف في معنى قوله: (مُخْلِصِينَ) قال بعضهم مقرين له بالعبادة وقال آخرون: قاصدين بقلوبهم رضا الله في العبادة، وقال الزجاج: أي يعبدونه موحدين له لا يعبدون معه غيره، ويدل على هذا قوله: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) [التوبة: ٣١] [٣]. قال القرطبي: «وفي الآية دليل على وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره» [٤]. ففي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) [٥]. فمن لم يخلص الله في عبادته، لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيء غير المأمور، فلا يقبل منه، فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه) [٦] [٧]. وللعلماء تعاريف متعددة لهذه الكلمة قال الكرخي : الإخلاص ألا يطلع على عملك إلا الله سبحانه ولا تطلب منه ثوابًا، وقال الشهاب : الإخلاص عدم الشرك وأنه ليس بمعنى الإخلاص المتعارف.[٨] فالإخلاص أصل من أصول الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وجماع الدين أصلان :ألا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى :(وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]« .[٩] وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: فلا يكون العبد متحققا» (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥] إلا بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم. والثاني: الإخلاص للمعبود فهذا تحقيق (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥].[١٠] فإن هذين الأصلين هما دين الإسلام الذي ارتضاه الله كما قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) [النساء: ١٢٥]. ولفظ «أسلم» يتضمن شيئين: أحدهما: الإخلاص. والثاني الأتباع والأذلال [١١].

ثانيا: التزام الشرع:

والتزام الشرع هو المتابعة والموافقة لما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .قال تعالى: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]. قال ابن كثير: (بِعِبَادَةِ) ما كان موافقًا لشرع الله (رَبِّهِ أَحَدًا) وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا الله ، صوابًا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم» [١٢].

ولهذا كان أئمة السلف رحمهم الله يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: ٢].

---

[١] العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع، محمود السيد شيخون ص ٩٧ بتصرف.

[٢] أثر العبادات في حياة المسلم، عبد المحسن البدر ص ٣٠.

[٣] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٣٢/٢٤٣ ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٥/٣٥٠.

[٤] الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٠/١٤٤. وانظر: فتح القدير، الشوكاني ٥/٥٨٠، فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان ١٥/٣٣٤.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ١.

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم ٢٩٨٥.

[٧] محاسن التأويل، القاسمي ٦/٢٢٨.

[٨] فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان ١٥/٣٣٤.

[٩] العبودية، ابن تيمية ص ١٤٨.

[١٠] مدارج السالكين، ابن القيم ١/١٠٤.

[١١] جامع المسائل، ابن تيمية ٦/٢٨.

[١٢] مفاتيح الغيب، الرازي ٣٢/٢٤٣

قال: أخلصه وأصوبه.

فقيل له: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

فقال: إن العمل إذا كان صوابًا ولم يكن خالصا لم يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون الله ، والصواب أن يكون على السنة [١].

وهو المتفق عليه بين المسلمين، فإنه لا بد له في العمل أن يكون مشروعا مأمورا به، وهو العمل الصالح، ولا بد ان يقصد به وجه الله، كما قال تعالى : (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا.[٢] قال ابن كثير في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [هود:٧].

«وقوله: (لِيَبْلُوَكُمْ) أي: ليختبركم أَحْسَنُ عَمَلًا) ولم يقل: أكثر عملًا ، بل أَحْسَنُ عَمَلًا) ،ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصا لله عز وجل، على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين بطل وحبط» [٣]. وأصبح مردودًا على عامله، يعود عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورا.

قال تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) [الفرقان: ٢٣] وفي الصحيح عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) [٤]. وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا، فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره، لا بالآراء والأهواء [٥].

مبطلات العبادة[٦]

هَذِهِ الْعِبَادَةُ الْعَظِيمَةُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِتيَانِ بِأَرْكَانِهَا، وَتَوَفُّرِ صِحَّةِ هَذِهِ الْأَرْكَانِ، وَكَذَلِكَ لَا بُدَّ مِنَ اجْتِنَابِ مُنْطِلَاتِهَا، فَلَهَا مُنْطِلَاتٌ:

أَوَّلُها: الْإِشْرَاكُ فِي الْعِبَادَةِ: وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ الْعَبْدُ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ، فَهَذَا مُسْتَحِقٌّ لِلْعَذَابِ الْعَظِيمِ وَبَاطِلٌ عَمَلُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ – تَعَالَى – إِلَى جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ أَنَّ الشِّرْكَ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَمِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر: ٦٥]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ – فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَأَبْطَلَ اللَّهُ جَمِيعَ قُرُبَاتِ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنْ كَانُوا قَاصِدِينَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا [الفرقان: ٢٣].

ثانيا : الرِّدَّةُ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى : وَهِيَ أَنْ يَتْرُكَ الْمُسْلِمُ دِينَهُ، وَيَعْتَنِقُ أَيَّ مِلَّةٍ مِنْ مِلَلِ الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ؛ فَإِنَّ الرِّدَّةَ مُحْبِطَةٌ لِلْعَمَلِ وَالْعِبَادَةِ السَّابِقَةِ إِذَا مَاتَ الْمُرْتَدُّ عَلَى رِدَّتِهِ عَلَى أَرْجَحِ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ذَلِكَ لِأَنَّ الرِّدَّةَ كُفْرٌ، وَالْكَافِرُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ أَيُّ عِبَادَةٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَقِيدَتَهُ لَيْسَتْ صَحِيحَةً، فَاخْتَلَّ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الْعِبَادَةِ.

ثالثا : الرِّيَاءُ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ وَجْهَ اللَّهِ ، لَكِنْ يُحسِنُ هَيْئَةَ الْعِبَادَةِ لِمَا يَرَى مِنَ النَّاسِ، فَالْقَوْلُ الصَّحِيحُ إِنَّ عِبَادَتَهُ الَّتِي رَاءَى فِيهَا بَاطِلَةٌ إِذَا كَانَتْ مِمَّا لَا يَتَجَزَّأُ كَالصَّلَاةِ، وَإِنْ كَانَتْ مِمَّا يَتَجَزَّأُ كَالصَّدَقَةِ، كَمَنْ تَصَدَّقَ بِمِائَةٍ أَرَادَ خَمْسِينَ مِنْهَا وَجْهَ اللَّهِ، ثُمَّ زَادَ خَمْسِينَ أُخْرَى رِيَاءً، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ الْخَمْسُونَ الَّتِي لِلَّهِ تَعَالَى، وَتُرَدُّ الْخَمْسُونَ الْأُخْرَى الَّتِي زَادَهَا لِأَجْلِ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَا لَهُ رِئَاءَ النَّاسِ [البقرة: ٢٦٤]. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ.

دوافع العبادة

هناك دوافع وأسباب تدفع الإنسان لعبادة الله سبحانه وتعالى، وتجعله دائم الصلة بربه تعالى، وبإمكاننا أن نقسم هذه الدوافع إلى قسمين:

أولا: دوافع فطرية:

---

[١] الاستقامة ابن تيمية ٢/٣٠٨ – ٣٠٩.

[٢] الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢/٧٦ بتصرف.

[٣] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٣٠٨.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم ١٧١٨.

[٥] مدارج السالكين، ابن القيم ١/١٠٥ يتصرف.

[٦] مفهوم العبادة محمد رسلان ص(٨٢)

ومن تلك الدوافع:

١. **دافع الشعور الفطري بوجود الخالق.**

فمعرفة الخالق مغروسة في الفطرة الإنسانية، وهي عهد الله وميثاقه الذي أخذه سبحانه وتعالى على بني آدم، فقد نص الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، أنه استخرج من صلب آدم ذريته وأقروا بأن الله تعالى ربهم ومليكهم. قال تعالى: (إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا. أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٧٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله، ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو» [١]. وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم:٣٠].

قال المراغي: «أي: الزموا خلقة الله التي خلق الناس عليها، فقد جعلهم بفطرتهم جانحين للتوحيد وموقنين به؛ لكونه موافقا لما يهدي إليه العقل، ويرشد إليه صحيح النظر، كما ورد في الحديث عن النبي أنه قال: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه...)[٢] الحديث.« [٣] وثبت ايضا عن النبي، أنه قال فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم) الحديث [٤].

بل إن المشركين في حالة الشدة والبلاء وانقطاع رجائهم عن الدنيا يرجعون إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في أكثر من آية في كتابه، كقوله تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت: ٦٥].

قال الرازي: وفي الآية إشارة إلى أن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا، وبيان ذلك هو أنهم إذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا وأخلصوا، فإذا أنجاهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا به سبحانه وتعالى» [٥]. وإنما خص بالذكر حال خوفهم من هول البحر في هذه الآية وفي آيات كثيرة في كتاب الله؛ لأن أسفارهم في البر كانوا لا يعتريهم فيها خوف يعم جميع السفر ؛ لأنهم كانوا يسافرون ،قوافل معهم سلاحهم، ويمرون بسبل يألفونها فلا يعترضهم خوف عام، فأما سفرهم في البحر فإنهم يفرقون من هوله ولا يدفعه عنهم وفرة عدد ولا قوة عدد، فهم يضرعون إلى الله بطلب النجاة ولعلهم لا يدعون أصنامهم حينئذ [٦].

فكل فرد من أفراد الناس مفطور أي مخلوق على ملة الإسلام، ولكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفطريين، وإنما يعتبر الإيمان والإسلام الشرعيان، وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم، وقول جماعة من المفسرين وهو الحق، والقول بأن المراد بالفطرة هنا الإسلام هو مذهب جمهور السلف [٧]. ونستخلص مما سبق أن معرفة الله فطر عليها الخلق بأجمعهم، والإقرار بربوبيته سبحانه وتعالى، وأن الانحراف عن هذه المعرفة والإيمان قد تكون من قبل الأبوين، أو المجتمع، أو بسبب الغفلة، أو الشياطين، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

٢. **.دافع الحاجة والافتقار.**

أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر – عن ذاته المقدسة، وحقيقته أنه غنى حميد. قال تعالى: (أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيًا حميدًا ذاتي، فغناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث، ولا إمكان – ردًا على الفلاسفة والمتكلمين بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلى ربه لذاته، لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته، لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والفقر

---

[١] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٥٠٠.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣٨٥، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم ٢٦٥٨.

[٣] تفسير المراغي ٢١/٤٥-٤٦.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم ٢٨٦٥

[٥] مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥/٧٦.

[٦] التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١/٣٢ بتصرف.

[٧] فتح القدير، الشوكاني ٤/٢٥٨.

لي وصف ذات لازم أبدًا كما أن الغنى أبدًا وصف له ذاتي» [١]. وعرف تبارك وتعالى «الفقراء» في هذه الآية؛ ليريهم شديد افتقارهم إليه، إذ هم جنس الفقراء، وإن كان العالم بأسره مفتقر إليه؛ فلضعفهم جعلوا كأنهم جميع هذا الجنس ولو نكر لكان المعنى: أنتم، يعني: الفقراء [٢].

وقال الرازي في سبب نزول هذه الآية: «لما كثر الدعاء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإصرار من الكفار، وقالوا إن الله لعله يحتاج إلى عبادتنا حتى يأمرنا بها أمرًا بالغا ، ويهددنا على تركها مبالغًا، فقال تعالى: (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه إليكم وإنما هو لإشفاقه عليكم» [٣].

ثانيًا : دوافع شرعية:

ومن تلك الدوافع:

١. دافع الرغبة والرهبة.

وهي من أعظم الدوافع الشرعية، فهي من صفات المؤمنين الصادقين، وهي باعث الرجاء والخوف؛ الرغبة في ثواب الله تعالى، والرهبة من عذابه وعقابه سبحانه وتعالى، وقد أثنى الله عزو جل على أشرف الخلق إليه، وهم أنبيائه؛ لرغبتهم ورهبتهم. قال تعالى عن زكريا عليه السلام وأهل بيته: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠].

قال الرازي: «فقال: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) ، وأراد بذلك زكريا وولده وأهله فبين أنه آتاهم ما طلبوه، وعضد بعضهم ببعض من حيث كانت طريقتهم، أنهم يسارعون في الخيرات والمسارعة في طاعة الله تعالى من أكبر ما يمدح المرء به؛ لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة، أما قوله تعالى : (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) قرئ: (رَغْبا ورهبا)، وهو كقوله : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر : ٩]. والمعنى: أنهم ضموا إلى فعل الطاعات والمسارعة فيها أمرين: أحدهما: الفزع إلى الله تعالى لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة في عقابه. والثاني: الخشوع وهو المخافة الثابتة في القلب، فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفًا من الإثم» [٤]. وقال ابن القيم: «وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم: (رَغَبًا) فالرغب: الرجاء والرغبة والرهب: الخوف والخشية، وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل: ٥٠]. [٥]

٢. دافع المحبة والتعظيم.

فإن محبة الله تعالى وتعظيمه، دافع من دوافع عبادته، فالله عزو جل أهل لأن يعبد لذاته الجليلة، وأن يطاع لصفاته العظيمة، قال تعالى: (وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) [المدثر : ٥٦].

قال السعدي: «أي: هو أهل أن يتقى ويعبد؛ لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه» [٦].

وقد مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين في كتابه، لمحبتهم إياه، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) [البقرة: ١٦٥].

قال القرطبي في هذه الآية: «وقيل: إنما قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) لأن الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه، ومن شهد له محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم، قال الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ : وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة: ٥٤]» [٧].

قال الرازي في قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) «وفيه دقيقة وهي أنه تعالى قدم محبته لهم على محبتهم له، وهذا حق؛ لأنه لولا أن الله أحبهم، وإلا لما وفقهم حتى صاروا محبين له» [٨].

فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبًا وحرية عما سواه [٩] .

---

[١] طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص ٨ بتصرف يسير.

[٢] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ٩/٢٣.

[٣] مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٢٢٩.

[٤] مفاتيح الغيب، الرازي ١٨٣/١٨٢-٢٢

[٥] طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص ٢٨٢ – ٢٨٣.

[٦] تيسير الكريم الرحمن السعدي ص ٨٩٨.

[٧] الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢/٢٠٤، معالم التنزيل، البغوي ١٩٦/١-١٩٧.

[٨] مفاتيح الغيب، الرازي ١٢/٣٨١.

[٩] الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٥/١٨٨

٣. دافع الشكر والعرفان

فإن نعم الله سبحانه وتعالى على بني آدم عظيمة؛ لأن كل النعم على بني آدم منه. قال تعالى: (وَمَا بِكُم مِّن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) [النحل:٥٣]. وهي دافع للعبادة لله سبحانه وتعالى شكرًا وعرفانا بعطاياه التي لا تعد ولا تحصى. قال تعـالى: (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: ٣٤] ، فلا يستطيع الإنسان حصر هذه النعم؛ لكثرتها عليه.

قال الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن بني آدم لا يقدرون على إحصاء نعم الله لكثرتها عليهم، وأتبع ذلك بقوله: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) فدل ذلك على تقصير بني آدم في شكر تلك النعم، وأن الله يغفر لمن تاب منهم، ويغفر لمن شاء أن يغفر له ذلك التقصير في شكر النعم، وبين هذا المفهوم المشار إليه هنا بقوله: (إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن المفرد إذا كان اسم جنس وأضيف إلى معرفة أنه يعم؛ لأن (الإِنسَانَ) مفرد أضيف إلى معرفة فعم النعم» [١] ، وقد أمر الله بالشكر، ونهى عن ضده.

قال الله تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [النحل:١١٤].

وقال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [البقرة: ١٥٢] ، ووعد أهله بأحسن جزائه.

قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَـــىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: ١٤٤]. وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظا لنعمته.

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [إبراهيم: ٧]. وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه، كقوله تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن تَخَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [سبأ:١٣] [٢].

وقد سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلا يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: أردت قوله تعالى: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) فقال عمر رضي الله عنه : كل الناس أعلم منك يا عمر![٣], فشكر الله تعالى أصعب عبادة وأشرفها. قال الراغب في قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [البقرة:١٥٢]

»وإنما قال تعالى: (وَاشْكُرُوا لِي) ولم يقل : (واشكروني) علمًا بقصورهم عن إدراكه، بل عن إدراك الآية، كما قال تعالى:(وَلَا تَكْفُرُونِ)، فأمرهم أن يعدوا بعض أفعاله في الشكر له، وشكر الله عز وجل أصعب عبادة وأشرفها، ولهذا قيل: غاية شكر الله الاعتراف بالعجز عنه، فكل نعمة يمكن شكرها إلا نعمة الله، فإن شكرها نعمة منه» [٤].

اقسام العبادة وصورها

من حكمة الله تعالى في شريعته أن نوع لهم العبادات، وجعل لها صورًا وأشكالا مختلفة، ومن تلك الصور:

أولًا: عبادات قولية:

وتشمل قول اللسان: كالدعوة إلى الله، وتبليغ دينه، وقراءة القرآن والدعاء إلى الله، ونحو ذلك. ومن أدلة هذا النوع: قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥].

وقوله عز وجل: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَـــتكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِـــترِينَ) [غافر: ٦٠] [٥].

ثانيا : عبادات قلبية

وتشمل قول القلب : وهو الاعتقاد بما أخبر الله به عن نفسه وعن ملائكته ولقائه على لسان رسله، ونحو ذلك [٦]. ومن أدلة هذا النوع: قوله تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ

---

[١] أضواء البيان، الشنقيطي ٢/٣٦٢.

[٢] مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٢٣٢-٢٣٣.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/٢٧٧.

[٤] تفسير الراغب الأصفهاني، ١/٣٤٥.

[٥] المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر صوفي ص ٩٥ بتصرف .

[٦] مدارج السالكين، ابن القيم ١/١٢٠ بتصرف.

السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواءِ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة: ١٧٧] . [١]

وقوله تعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) [المائدة: ١١١].

وتشمل كذلك عمل القلب : كالتوكل عليه، والإنابة إليه، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه وغير ذلك من أعمال القلوب [٢].

ومن أدلة هذا النوع:

قوله سبحانه وتعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) [الزمر : ٥٤].

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [هود:٢٣].

ثالثًا : عبادات بدنية

وتشمل أعمال الجوارح من صلاة، وجهاد، وحج، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك [٣].

ومن أدلة هذا النوع:

قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الحج: ٧٧].

وقوله جل جلاله: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [الحج: ٢٩].

رابعًا: عبادات مالية

وتشمل إخراج الزكاة من المال؛ امتثالا لأمر الله، والوفاء بالنذر، والجهاد بالمال في سبيل الله عز وجل.

ومن أدلة هذا النوع:

قول الله عز وجل: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

]البقرة: ١١٠].

وقوله سبحانه وتعالى: (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبة : ٤١].

خامسًا: عبادات مشتركة

وهي ما اشتملت على نوعين فأكثر من العبادات، منها على سبيل المثال: الحج: وهي عبادة مركبة من نوعين بدنية ومالية[٤].

واتفق الفقهاء على أن من شروط وجوب الحج الاستطاعة؛ لقوله تعالى: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٧].

والاستطاعة أي: القدرة، وتتحقق بأمور منها: وجود المال الذي يكفي ذهابًا وإيابًا [٥], بالبدن والمال؛ ولهذا لا يجب إلا عند وجود المال وصحة البدن. وكذلك العمرة فهي عبادة مركبة من نوعين : بدنية ومالية؛ لقوله تعالى : (وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ تَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [البقرة: ١٩٦].

وقد ذهب الفقهاء إلى أنه يجوز أداء العمرة عن الغير؛ لأن العمرة كالحج تجوز النيابة فيها؛ لأن كلا من الحج والعمرة عبادة بدنية مالية [٦]. والجهاد كذلك عبادة مركبة من نوعين: بدنية ومالية. قال تعالى: (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبة: ٤١] .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى: «قوله: (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فيه الأمر بالجهاد بالأنفس والأموال وإيجابه على العباد، فالفقراء يجاهدون بأنفسهم، والأغنياء بأموالهم وأنفسهم، والجهاد من أكد الفرائض وأعظمها» [٧].

---

[١] المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر صوفي ص ٩٥.

[٢] مدارج السالكين، ابن القيم ١/١٢١ بتصرف.

[٣] مدارج السالكين، ابن القيم ١/١٢١ بتصرف.

[٤] المنتقى من فرائد الفوائد، ابن عثيمين ص ٤.

[٥] الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٢/٣٤٨ بتصرف.

[٦] المصدر السابق ٣٠/٣٢٨

[٧] فتح القدير، الشوكاني ٢/٤١٤.

وقال تعالى: (لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٥].

قال ابن عاشور: «وقوله: (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)، لأن الجهاد يقتضي الأمرين: بذل النفس وبذل المال» [١]. والصلاة تشتمل على عبادات قلبية وقولية وعملية. قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ١٦٢].

فالصلاة في الشرع يراد بها : العبادة المبتدئة بالتكبير المختتمة بالتسليم، التي تشتمل على عبادات قلبية وقولية وعملية ،فالصلاة تشتمل على أنواع العبادة في القلب: من الخشوع، والخشية، والإقبال على الله سبحانه وتعالى، وباللسان: من التكبير، والتحميد، والثناء على الله، وتلاوة كتابه الكريم، ومناجاة الرب سبحانه وتعالى، وبالجوارح: من القيام، والركوع،

والسجود، والجلوس، فالصلاة عبادة عظيمة، يجتمع فيها ما لا يجتمع في غيرها من أنواع العبادات؛ ولذلك جعلها الله عمود الإسلام، وجعلها الركن الثاني من أركان الإسلام [٢].

٥. المبحث الرابع : أصل الانحراف في مفهوم العبادة والفرق التي انحرفت وبعض اخطائهم والرد عليها :

الخلاف في مفهوم العبادة وبيان انحراف المخالفين:

الخلاف في مفهوم العبادة خلافٌ في أصل كبير، وينبني عليه كثير من الأحكام، ومن ثم حرص علماء الملة على تحرير مفهوم العبادة؛ لأنَّ به يتضح ما كان حقًّا لله عز وجل وما هو من خصائص المعبود، وما هو حق للعبد يمكن أن يُصرف له تبعا لعبادة أو خاصا به، وتحرير هذا المصطلح يحتاج رجوعا إلى النصوص ؛ وذلك لتوقف معنى العبادة على ما تقرره النصوص، وصاحب الحقّ من كان في تعريفه جامعًا لما تقرّرُه النصوص، موفيًا لحقها، مراعيًا معانيها في التعريف.

وقد نشب صراع فكري في العصر الحديثِ بين بعض الأشاعرة ومن ينتسب إليهم من المتصوفة وبين أتباع المنهج السلفي في تحرير هذا المفهوم، وهذا الصراع ألقى بظلاله على أبواب المعتقد، فما يرى السلفي أنه عبادة خاصة بالله عز وجل. يرى الصوفي الأشعري أنه لا يدخل في حدّ العبادة شرعًا، ومن هنا لزِمَ النظر في مفهوم العبادة عند الطرفين، وتحرير الصواب في ذلك.

قد سبق لنا بيان أن التوحيد الذي دعت له الرسل هو توحيد العبادة، الذي هو لازم توحيد الربوبية، وقد خالف أناس في ذلك، وزعموا أن الإقرار بأن الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر الذي بيده النفع والضر، هو غاية التوحيد.

وأن معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله): أن الله وحده هو القادر على الاختراع!! وبالتالي أثبتوا التوحيد لمن أقر بذلك وإن صرف عبادته إلى غير الله تعالى! حتى صرح بعضهم بأن طلب الحاجة من الحجر والشجر وإن كان عملا لغو باطلا، إلا إنه ليس بشرك، إلا إن كان الطلب باعتباره رباً وأن الاستغاثة بغير الله – فيما لا يقدر عليه إلا الله – لا تعد شركا إن اعتقد المستغيث أن المتصرف في الأمور على الحقيقة هو الله وحده، وإنما يكون الشرك إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله ! كما قرره جماعة من القبوريين ومن شايعهم، كابن داود الهمداني في كتابه "إزهاق الباطل". ومحمد بن علوي المالكي في كتاب "مفاهيم يجب أن تصحح". وعبد الله بن بلفقيه العلوي في كتابه "الرد على الوهابية" وغيرهم[٣]. وإن كان الأمر كذلك، فلا ندري أي شرك وقع فيه قوم إبراهيم وهم يعتقدون أن أصنامهم لا تسمع دعاءهم، ولا تنفعهم ولا تضرهم على الحقيقة، وإنما هو تقليد الآباء؟ وبذلك استدل عليهم الخليل إبراهيم – عليه السلام – وحاجهم بأن المستحق للعبادة هو الذي يخلق ويهدي ويطعم ويسقي، ويشفي ويميت ويحيي، وهذه في الحقيقة هي أوصاف الربوبية، التي تستلزم إفراد الله تعالى بالعبادة وهو توحيد الألوهية، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) } [الشعراء].

وهذا الانحراف العقدي بحصر الشرك في اعتقاد الربوبية عند صرف العبادة لغير الله تعالى: لا تعضده حقيقة لغوية ولاشرعية، فلا هو مقتضى لسان العرب، ولا هو مستفاد من أدلة الشرع، بل كلاهما ينقضه ويبطله. فأما اللغة، فلم نجد من أئمة اللغة من ذكر هذا القيد، بل أطلقوا أن العبادة. الطاعة، ومن. يقيدها يقيدها بوصف الخضوع والذل، كما قال الزجاج: "معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، يقال هذا طريق معبد، إذا كان مذللاً بكثرة الوطء [٤].

---

[١] التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/١٧١.

[٢] إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح الفوزان ١/١٦٥ بتصرف يسير.

[٣] كتاب "دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب " ص ١٩٨، ٢٤٧، ٣٥١

[٤] معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨

ولذلك صح تسمية معاملة المشركين لآلهتهم الباطلة عبادة، مع اعتقادهم أن الله تعالى هو خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم، واعتقادهم أن هذه الآلهة المزعومة لا تملك من الأمر شيئا، بل هي نفسها ملك الله تعالى، ففي صحيح مسلم (١١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك – قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويلكم قد قد» – فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت ".

ولذلك صرحوا بقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى} [الزمر : ٣] قال قتادة: "كانوا إذا قيل لهم من ربكم وخالقكم؟ ومن خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء؟ قالوا الله، فيقال لهم ما معنى عبادتكم الأصنام؟ قالوا ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده" [١].

وقال السعدي في تفسيره: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} أي: لترفع حوائجنا الله، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئا. أي: فهؤلاء قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرأوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك" [٢].

ففعل المشركين مع أصنامهم عبادة شركيه، وإن كانوا لا يعتقدون فيها معاني الربوبية ولوازمها من: الخلق والملك والرزق والتدبير والضر والنفع، وإنما مرادهم هو التقرب إلى الله بشفاعتهم، كما قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: ١٨] فانظر كيف ختمت الآية . بتنزيه الله – عز وجل عز وجل – نفسه عن الشرك. فأصل إشكال المشركين في توحيد الله تعالى إنما هو في ألوهيته لا في ربوبيته وشركهم الذي كثر ذمهم في القرآن لأجله كان لصرفهم العبادة لآلهتهم الباطلة. من دون الله تعالى، واعتقادهم أنها تستحق شيئا من ذلك، ولهذا قالوا متعجبين: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٍ عُجَابٌ} [ص: ٥] قال الجوهري: "الآلهة: الأصنام، سموها بذلك لاعتقادهم أنَّ العبادة تحقُ لها، وأسماؤهم تَتْبَعُ اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه" [٣]. وهذا المذهب الرديء في إغفال توحيد الله تعالى في ألوهيته، وأن ذلك لا يوجب الحكم بالشرك إلا إن اقترن باعتقاد الربوبية، لم يجد رواجا في الأوساط السنية السلفية، فحام حوله أناس وقدموه في الأوساط السلفية من باب آخر أخفى في البطلان، وألبسوه ثوب تصحيح المفاهيم وتجديدها. وذلك بتعريف العبادة التي يتحقق الشرك بصرف شيء منها لغير الله بأنها تعظيم المتصف بشيء من خصال الربوبية، أي الذي بيده الخلق والملك والتدبير !!! وهذا في الحقيقة:

صياغة جديد لإغفال توحيد الألوهية، وتضييع لمقتضى شهادة التوحيد ولوازمها.. تابع فيها بعض المنتسبين للسنة والسلفية شيوخ الضلالة من المتكلمين والقبوريين في مذهب باطل، وأجابوا بها عن إشكال التعارض بين هذا الفهم الرديء، وبين حال المشركين المقرين بربوبية الله تعالى، كما بينه القرآن، فلما تحيروا في الآيات الكثيرة التي تصف المشركين بأنهم الذين عبدوا غير الله تعالى، وتجعل حقيقة التوحيد إفراد العبادة لله وحده، والشرك صرف العبادة لغيره، فحاولوا التوفيق بين هذه الآيات وبين رأيهم الفاسد، فزعموا أن العبادة لا تكون عبادة إلا اذا تضمنت اعتقاد الربوبية لمن صرفت له، وإلا فليست عبادة، حتى ولو جمعت الذل والخضوع والمحبة والتأله، وفي ذلك يقول القضاعي: "إن مسمى العبادة شرعا لا يدخل فيه شيء من التوسل والاستغاثة وغيرهما بل لا يشتبه بالعبادة أصلا، فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا اذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم، أو صفة من صفاتها الخاصة بها". ويقول أيضا: "إن الدعاء بمعنى النداء إن كان لمن لا يعتقده ربا فليس من العبادة في شيء ... وإن اعتقد ربوبيته أو استقلاله بالنفع والضر أو شفاعته عند الله بغير إذن الله، فهو عبادة لذلك المدعو، وقد يطلق الدعاء على العبادة. وقد علمت أن معناها: الخضوع التام لمن يعتقد فيه الربوبية أو خاصة من خواصها" [٤].

وقال ابن كيران الفاسي في تعريف العبادة: " فالعبادة شرعا غاية الذل والخضوع لمن يعتقد له الخاضع بعض صفات الربوبية، كما ينبئ عنه مواقع استعمالها في الشرع فغاية الخضوع لا تكون عبادة بمجردها، بل حتى تكون على وجه خاص، وهو اعتقاد الخاضع ثبوت صفة من صفات الربوبية للمخضوع له" [٥].

وهذا التعريف للعبادة لم يقل به إمام من أئمة الدين ولا عالم من الراسخين وتبطله نصوص القرآن الكريم، واستعمال أئمة الدين من الصحابة والتابعين.

أما القرآن فكما سبق في حق قوم إبراهيم، الذين عبدوا أصناما لا يعتقدون فيها الربوبية، بل كانوا يعتقدون أنها لا تسمع دعاءهم، ولا تنفعهم ولا تضرهم، كما قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)} [الشعراء: ٦٩ – ٧٤] قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم؟ ... أو تنفعكم هذه الأصنام، فيرزقونكم شيئا على عبادتكم، أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم.. (قَالُوا، بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم:

---

[١] تفسير القرطبي ١٥ / ٢٣٣ ، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٥١٥

[٢] تيسير الكريم الرحمن ص: ٧١٨

[٣] الصحاح ٦ / ٢٢٢٤.

[٤] البراهين الساطعة ص ٣٨، ٣٨٨: ٣٩٠.

[٥] الرد على بعض المبتدعة من الطائفة الوهابية ص١٠

هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) فكان جوابهم إياه: لا ما يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا ولا يضرون، يدل على أنهم بذلك أجابوه" [١]. (١٢٦)

ومن ذلك أيضا: قوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [يس: ٦٠ – ٦٤] فانظر كيف قابل طاعة الشيطان بطاعته عز وجل، وسمى كليهما عبادة، وبيَّن أن عبادة الشيطان تؤول بصاحبها للكفر ! قال الطبري : يقول : ألم أوصكم وأمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله ، وقوله (وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا، فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم [٢] . "

فهل يمكن لأحد ادّعاء أن هذه العبادة للشيطان كانت مقترنة باعتقاد ربوبيته؟! وأما استعمال السلف، فكقول الصحابي الكريم عمرو بن عبسة – رضي الله عنه –في وصف حاله وحال غيره في الجاهلية: ينزل الحي ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لقدره، ويجعل أحسنها إلها يعبده. ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره إذا نزل منزلا سواه [٣] .

ومن ذلك أيضا: قول أبي رجاء العطاردي – وهو من المخضرمين: "كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا هو أخير ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا به". [رواه البخاري ٤٣٧٦]

فهل مثل هذه العبادة يمكن أن تكون لاعتقاد شيء من معاني الربوبية في هذه الأحجار أو هذه الكومة من التراب؟! ومع ذلك فهذا هو شرك الجاهلية الصريح. وصح بذلك واتضح أنه لا يشترط في حصول الشرك بصرف العبادة لغير الله – أن يقترن باعتقاد الربوبية. ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال: "أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به [٤].

انحراف أهل الكلام :

كنا قد وقفنا في تعريف العبادة عند أهل الكلام، وقلنا: إن أهل الكلام حصروا العبادة في مجرد الإقرار وتصديق القلب فقط، وهذا التعريف لمفهوم الإيمان سببه أمران: الأمر الأول: الإرجاء. والأمر الثاني: تفسيرهم للإله بأنه القادر على الاختراع. وأهل الكلام طوائف متعددة، ومن هذه الطوائف التي بقيت إلى الآن فرقة الأشاعرة وفرقة الماتريدية، ولهما وجود في حياة المسلمين، وهما من الفرق التي تقرر أن الإيمان هو مجرد التصديق، وترتب على هذا أن العبادة عندهم هي مجرد التصديق القلبي فقط، والتصديق القلبي هو مجرد التصديق بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت؛ لأنهم يفسرون (الإله) في شهادة التوحيد بمعنى: القادر على الخلق والقادر على الاختراع والإنشاء والإبداع، فمعنى (لا إله إلا الله) عندهم: لا خالق إلا الله، ولا شك في أن هذا ليس هو المقصود من (لا إله إلا الله) فإن المشركين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى عنهم: {كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات: ٣٥]، مع أنهم في ذات الوقت كانوا يثبتون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وهذا يدل على أنهم لم يفهموا من (لا إله إلا الله) أنها تقتضي مجرد إثبات الخلق والرزق لله وحده فقط، وإنما فهموا أن المقصود أنه لا بد من أن يدين الإنسان لله عز وجل ويخضع له بكل شيء، فيخضع له بقلبه، ويخضع له بجوارحه ويخضع له بلسانه، وهذه هي حقيقة الإيمان عند السلف، وهي أنه مركب من ثلاثة أشياء: من عمل القلب وتصديقه، ومن عمل الجوارح، ومن قول اللسان كذلك.

مفهوم العبادة عند الأشاعرة:

لم يهتم جمهور المتقدمين ولا المتأخّرون من الأشاعرة بتعريف توحيد العبادة؛ وذلك نظرًا لخروجه عن الاهتمامات العلمية لهم عند النشأة، فهم كسائر الفرق الكلامية التي نشأت للردّ على الفلسفة، فكان اهتمامهم منصبا على إثبات وجودِ الصانع، إلا أن بعض الأشاعرة أثرت عنهم كلمات محصنة في هذا الباب، لكن معظم الأشاعرة لم يجعلوه أَوَّلَ واجب، فكان هذا أحد أسباب عدم إفراده بالتأليف، وكان تفسيرهم للإله منصبا على المعنى الذي يهتمون به وهو : كونه صانعا مخترعا، فقد ذكر الرازي أن الإله من له الإلهية وهي الاختراع والقدرة على الاختراع، واستدل لهذا القول ونصره [٥] ١٣٠ . وأول واجب عند الأشاعرة هو المعرفة والنظرُ، أو القصد إلى النظر المؤدّي إلى إثبات وجود الله، وهذا الإثبات مقصده إثبات الوحدانية في الذات والأفعال، فانصب كلامهم على التوحيد من هذه الحيثية، إلا أنَّ الغالب في تفسير الإله عندهم هو ما تقدَّم[٦] ، إلا أنه مع ذلك وُجدت نصوص من متقدّمي الأشاعرة تُدخل معنى العبادة في التوحيد، يقول

---

[١] تفسير الطبري ١٩ / ٣٦١

[٢] جامع البيان ٢٠/ ٥٤٢

[٣] الطبقات الكبرى ٤ / ١٦٤

[٤] الاستقامة ص ٣٤٤

[٥] شرح أسماء الله (ص: ١٢٤).

[٦] أصول الدين للبغدادي (ص: ١٢٣).

الباقلاني رحمه الله: " والتوحيدُ له هو الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود، ليس كمثله شيء" [١] ومثله منقول عن الباجوري [٢]. هذا وقد نص بعضُهم كالحليمي على حرمة دعاء غير الله، وعلى دخول الدعاء فيمعنى العبادة [٣]، وكذا الرازي في تفسيره، واستدل على ذلك بأدلة نقلية وعقلية حيث قال: "وقال الجمهور الأعظم من العقلاء: إنَّ الدعاء أهم مقامات العبودية، ويدلُّ عليه وجوه من النقل والعقل" [٤] .

وقد وضع الحليمي النّصالَ على النّصالِ، فأثبت التلازم بين الدعاء واعتقاد التأثير حيث قال: "كل من سأل ودعا فقد أظهر الحاجة، وباح بها، واعترف بالذلة والفقر والفاقة لمن يدعوه ويسأله، فكان ذلك في العبدِ نظير العبادات التي يتقرب بها إلى الله عز اسمه [٥] .

ومع أنَّ متقدمي الأشاعرة لم يقصدوا إلى تحرير المفهوم، إلا أنَّ نصهم على مسائل من العبادة وإدخالهم لها في التوحيد يدلُّ على أنَّ معنى التوحيد على نحو ما يذكره السلفيون كان حاضرًا عندهم، وقد نبتت نابتة منهم اختلطت بالتصوف، فجعلت الشرك هو صرفُ شيءٍ من خصائص الربوبية لغير الله، فلم تكن الاستغاثة بالمخلوق عندهم شركا ما لم ترتبط باعتقادِ الضر والنفع، وقد ألف بعضهم في تجوزيها، فللنَّبهاني كتاب أسماه: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" . وألف محمد علوي المالكي كتابًا بعنوان: "مفاهيم يجب أن تُصحح"، ودافع فيه عن الاستغاثة بناءً على التعريف أنف الذكر [٦] .

الآثار المترتبة على الانحراف الكلامي في مفهوم العبادة

وقد ترتب على هذا الانحراف عند أهل الكلام أن تكون العبادة هي الأفعال والأقوال التي تصرف لمن يعتقد فيه أنه خالق ورازق، فالعبادة عندهم هي الأقوال والأعمال التي تصرف لمن يعتقد فيه الربوبية، فإذا رأى أحدهم رجلاً يطوف حول قبر أو يذبح له أو ينذر له أو يستغيث بغير الله، قال: هذا في حد ذاته ليس كفراً؛ إلا إذا كان يعتقد أن هذا الذي صرفت له العبادة خالق ورازق، وحينئذ افترق الناس إلى فرقتين في مفهوم العبادة وفي مفهوم الشرك أيضاً، فصار أهل الكلام يعرفون العبادة بتعريف غير تعريف أهل السنة، وصاروا يعرفون الشرك بتعريف غير تعريف أهل السنة، فهم يقولون: العبادة هي الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي تصرف لمن يعتقد فيه الخلق والرزق والإحياء والإماتة والربوبية.

أما أهل السنة فإنهم يقولون: العبادة هي الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي تجمع بين الخضوع والذل وبين المحبة، حتى لو صرفت لمن يعتقد أنه حجر، أو أنه ولي، أو أنه نبي، أو ملك من الملائكة، فما دام أنها أقوال وأفعال ظاهرة وباطنة اجتمع فيها الذل والخضوع واجتمع معها المحبة كذلك فهي عبادة مصروفة، فإما أن تكون الله فتكون حينئذ توحيداً، وإما أن تكون لغير الله فتكون حينئذ شركاً.

وترتب على هذا الخلاف السلف رضوان الله عليهم وبين أهل الكلام في مفهوم العبادة ترتب عليه خلاف كبير في الواقع، فأهل السنة يقولون: إن الذين يقفون حول القبور وينذرون لها ويذبحون لها كفار، وأهل الكلام يقولون: هم لم يعبدوا غير الله ، ولهذا فإن كتاب: (مفاهيم يجب أن تصحح لـ محمد علوي المالكي قال فيه صاحبه بالنص: ولا يكفر المستغيث بغير الله ما لم يعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى.

فعنده لو أن إنساناً استغاث بولي وهو يعتقد أنه غير خالق، بل هو مخلوق، فليس فعله من الشرك، وأنه إذا ذبح لولي أو نذر له فإن هذا ليس من الشرك، إلا إذا اعتقد أن هذا الولي هو الخالق الرازق، وهذا لا شك في أنه لا يقول به أحد في الدنيا، فإنه لا يوجد طائفة تقول: إن هذا الكون أوجده إلهان وصانعان متفقان في الصفات وفي الأفعال، وإنما أكثر الملل وأكثر الأمم على أن الله هو الخالق الرازق، فمن أين دخل عليهم الشرك حتى اقتضى هذا أن يرسل الله إليهم الرسل؟ لقد دخل عليهم الشرك عندما صرفوا العبادات لغير الله، وعندما صرفوا الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة لغير عز وجل، وعندما صلوا لغير الله، حتى لو كان من صلوا له يعتقدون فيه أنه مخلوق، وعندما ذبحوا لغير الله ونذروا لغير الله واستغاثوا بغير الله، وعندما أحبوا غير الله حب الذل، وعندما خافوا من غير الله خوف العبادة، وعندما توكلوا على غير الله واعتمدوا عليه حصل فيهم الشرك، وعندما تحاكموا إلى غير الشرع، فبذلك حصل عندهم الشرك والكفر.

وهذا التعريف الباطل الذي يعرف به أهل الكلام العبادة يرده حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة)، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبداً للدينار، مع أنه لا يوجد أحد في الدنيا يتصور أن الدينار خلقه، أو أن الدراهم خلقته، أو أن الخميصة أو الخميلة تخلق وترزق

.فالعبادة في مصطلح الشرع لا يلزم منها أن يكون هناك اعتقاد بأن الله عز وجل هو الخالق الرازق فيمن صرفت له، لكن لا شك في أن العبادة الشرعية المقبولة عند الله . هي التي تصرف الله عز وجل باعتقاد الربوبية له، ولا يتصور أن يوجد إنسان يصرف العبادات الله عز وجل وهو لا يعتقد

---

[١] الإنصاف (ص: ٣٤).

[٢] تحفة المريد (ص: ١٠).

[٣] المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٥١٧).

[٤] تفسير الرازي (٥/٩٨).

[٥] المنهاج في شعب الايمان (١/ ٥١٧).

[٦] شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق (ص: (١٥٠) ، ومفاهيم يجب أن تصحح (ص: ٩٥) .

فيه أنه خالق ولا رازق ولا محي و ولا مميت [١] .

انحراف الصوفية في تعريف العبادة :

ومن الطوائف التي انحرفت في مفهوم العبادة هي: الصوفية.

فإن الصوفية فسروا العبادة بأنها شهود الخلق والرزق وشهود الإنعام، ومعنى الشهود كما سيأتي معنا إن شاء الله– هو ملاحظة النعمة أو ملاحظة الخلق أو الاهتمام به فهذا الشهود عندهم هو العبادة، ولهذا يفسر القشيري في كتابه (الرسالة) العبودية بأنها شهود الحقيقة الكونية العامة، وهي مقتضى الخلق. ولهذا اتفق الصوفية وأهل الكلام وصاروا على طريقة واحدة، ولهذا تجد أن المتأخرين من الصوفية، والمتأخرين من أهل البدع يجمعون بين ثلاثة أشياء: يجمعون بين الانحراف في الاعتقاد فتجد أحدهم مثلاً أشعري العقيدة والانحراف في السلوك، فتجد أنه –مثلاً– قادري السلوك أو نقشبندي، والانحراف في الفقه، فتجد أنه . متعصب لإمام من الأئمة، فلو جاءه الحديث لرده بسبب قول هذا الإمام، وهذه لا شك في أنها ثلاث مصائب متعاونة، وقد تركبت في حياة المتأخرين خاصة[٢].

الرد على بعض الاخطاء في مفهوم العبادة من خلال النصوص الشرعية:

والحقيقة أننا حين نتحاكم إلى الكتاب والسنة نجد أن العبادة لها مفهوم غير محصور في اعتقاد النفع والضر، فقد يكون الإنسان ناسبًا النفع والضرّ لله سبحانه وتعالى اعتقادًا وهو واقع في الشرك في العبادة، قال سبحانه: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} [يونس: ٣١]. قال ابن عطية: " {فَسَيَقُولُونَ اللهُ } لا مندوحة لهم عن ذلك، ولا تمكنهم المباهتة بسواه، فإذا أقروا بذلك فَقُل أَفَلا تَتَّقُونَ} في افترائكم وجعلكم الأصنام آلهة [٣]". وقال سبحانه: {أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صادِقِين} [النمل: ٦٤] . قال قتادة : "إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه ، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته[٤] . "

، وقال ابن زيد: ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربُّه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: {أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٧٥–٧٧]؟! قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي؟! تقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك المشركون كانوا يقولون هذا [٥].

فقد كان إلزام الربوبية هو إلزام بالعبودية، وصرف الخصائص في العبودية هو الشرك بعينه؛ ولذا اتفقت كلمة علماء السلفية على التنصيص على أن ما ثبت أنه عبادة الله لا يجوز صرفه لغير الله سبحانه وتعالى، سواء كان ذبحا، أو نذرا، أو دعاء، أو سجودا، كل هذا هو من عبادة الله التي يطلب إفراده فيها سبحانه وتعالى.

ومن خلال القيود التي مرت بنا تعرف صمام الأمان للعبادة، فالإخلاص أمان من الشرك، وهو عدم تعدد المعبود، والمتابعة أمان من البدعة في العبادة، وهذا المعنى في العبادة مطروق عند السلف رحمهم ا الله، قال الفضيل في قوله تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢] قال: "أخلصه وأصوبه"، وقال: "إنَّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا وصواباً ، قال : " والخالص إذا كان الله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة [٦]" .

فتوحيد العبادة وشرطه الذي يتكلم عنه السلفيون هو الذي يشهد القرآن به وينصره كلام السلف وعملهم، ويقرّره المحققون من أهل الملل بعدهم؛ لأن المقصود بالتعريف موافقة النصّ والنزول عند كامل معناه، لا التقصير به أو الزيادة فيه، وتقصير متأخري الأشعرية في تفسير العبادة وغلو الصوفية في أشياخهم جعل هذا المفهوم يلتبس حتى صرفت العبادة لغير الله، وصار هم هؤلاء الدّفاع عما جوزه أشياخهم من عبادة غير الله، لا الدفاع عن الشرع وحماية حق الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رُشدنا ويهدينا سُبُلنا، وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[١] كتاب شرح رسالة العبودية لابن تيمية عبد الرحيم السلمي – الآثار المترتبة على الانحراف الكلامي في مفهوم العبادة ص (٩)

[٢] المصدر السابق

[٣] تفسير ابن عطية (٣/ ١١٨)

[٤]تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٥).

[٥] تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٦).

[٦] أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ (٣٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٩٥). وينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧٢)

٦. الخاتمة

النتائج :

عبادة الله الحقيقية لا تنحصر في أمر معين فهي العبادة القلبية والسمعية والنفسية والبدنية والروحية، فلا يمكن حصرها في مفهوم ضيق، ففي الدين الإسلامي الابتسامة صدقة والصدقة عبادة، فكل فعل يقرب العبد لربه عبادة، فالدعاء والاستغفار والصبر والإحسان وكل شيء من الأشياء الطيبة عبادة. للعبادة شروط لا تتم الا بتوفرها وهي الإخلاص والمتابعة اذ بدون ذلك لا تسمى عبادة ولها اركان هي الذل والخضوع.

العبادة اسم جامع لكل معاني الخير من الاعمال والاقوال الظاهرة وتكون العادات بمثابة العبادات في الاجر إذا اقترنت بالنية. والعبادة لا تكون الا لله لأنه هو المستحق لها ولا إله ولا رب ولا معبود سواه فهو الخالق وهو المدبر وهو مالك الملك. العبادة لا تستلزم ان تكون متعلقة بمعاني الربوبية، بل هي في توحيد الالوهية والربوبية وإذا كانت لغير الله فهي باطلة كما تقدم.

التوصيات

١. يوصي الباحث في التوسع بمجال توحيد الالوهية ومعرفة الانحرافات التي وقعت في اهل الفرق الضالة واهل الكلام خصوصا.
٢. يوصي الباحث في امعان النظر في كتب العلماء الربانيين قبل الانزلاق خلف شبهات المعاصرين
٣. يوصي الباحث بالتوجه لتوصيات العلماء لتوجيههم بقراءة وطلب العلم لكون الساحة العلمية فيها الكثير ممن ينتسب للعلم والسنة وهم ليسوا كذلك.

Funding:

This research was conducted independently without the aid of any external funding bodies, public or private grants, or institutional sponsorships. All expenditures were borne by the authors.

Conflicts of Interest:

The authors declare no potential conflicts of interest.

Acknowledgment:

The authors are thankful to their institutions for offering unwavering support, both in terms of resources and encouragement, during this research project.

References

[1] The Holy Quran.
[2] A. Al-Sulami, Explanation of the Treatise on Servitude by Ibn Taymiyyah.
[3] A. A. Al-Hudhail, Doubts of the Innovators Regarding the Concept of Worship – Presentation and Critique.
[4] A. R. Al-Mu’allimi Al-Yamani, Lifting the Confusion About the Meaning of Worship and Deity.
[5] O. Al-Eid, Explanation of the Lamiyyah of Ibn Taymiyyah.
[6] M. A. Bajseer, Principles in the Monotheism of Worship.
[7] M. A. Bajseer, Terminologies Used in the Monotheism of Divinity by the Salaf.
[8] M. S. Ruslan, The Concept of Worship.
[9] S. M. Al-Qasim, Booklet on Worship.
[10] W. R. Al-Sa’idan, A Treatise on Differentiating Between the Essence and Description of Worship.
[11] A. H. Al-Turkmani, The Reality of Worship Monotheism Between Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah and the Theologians.
[12] S. Al-Othaim, Worship.
[13] H. Al-Bashbishi, Knowing Allah is the Key to Fulfilling Worship.
[14] S. M. Al-Qasim, Booklet on the Delight of Worship.
[15] A. Al-Anqari, The Efforts of the Shafi'is in Establishing the Monotheism of Worship.
[16] S. A. Mawjoud, Worship and the Striving of the Salaf in It.
[17] A. A. Latif, The Claims of the Opponents to the Call of Sheikh Muhammad bin Abdul Wahhab.
[18] K. Abdul Latif, The Methodology of Ahl al-Sunnah wal-Jama'ah and the Ash'arites in the Monotheism of Allah Almighty.
[19] The Creed Encyclopedia, A group of authors.
[20] The Thematic Tafsir Encyclopedia Website.
[21] The Al-Dorar Al-Sunniyah Website – Monotheism of Divinity and Worship.
[22] The Salaf Research and Studies Center Website.
[23] The Center for Islamic Studies Tafsir Website.
[24] The Website of Sheikh Abdul Haqq Al-Turkmani.

المراجع

[١] القران الكريم.

[٢] السلمي، عبد الرحيم. شرح رسالة العبودية لابن تيمية.

[٣] الهذيل، عبد الله بن عبد الرحمن. شبهات المبتدعة في مفهوم العبادة – عرض ونقد.

[٤] المعلمي اليماني، عبد الرحمن. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله.

[٥] العيد، عمر. شرح لامية ابن تيمية

[٦] باجسير، محمد بن عبد الله. القواعد في توحيد العبادة.

[٧] باجسير، محمد بن عبد الله. المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف.

[٨] رسلان، محمد سعيد. مفهوم العبادة.

[٩] القاسم، شيخة بنت محمد. كتيب العبادة.

[١٠] السعيدان، وليد بن راشد. رسالة في التفريق بين أصل العبادة ووصفها.

[١١] التركماني، عبد الحق. حقيقة توحيد العبادة بين شيخ الإسلام ابن تيمية والمتكلمين.

[١٢] العثيم، سليمان. العبادة.

[١٣] البشبشي، حسني. معرفة الله مفتاح تحقق العبادة.

[١٤] القاسم، شيخة بنت محمد. كتيب لذة العبادة.

[١٥] العنقري، عبد الله. جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة

[١٦] عبد الموجود، صلاح الدين علي. العبادة واجتهاد السلف فيها.

[١٧] آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن علي. دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

[١٨] عبد اللطيف، خالد. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى.

[١٩] موسوعة العقيدة، مجموعة مؤلفين.

[٢٠] موقع موسوعة التفسير الموضوعي.

[٢١] موقع الدرر السنية – توحيد الألوهية والعبادة.

[٢٢] موقع مركز سلف للبحوث والدراسات.

[٢٣] موقع مركز دراسات تفسير الإسلام

[٢٤] موقع الشيخ عبد الحق التركماني.